خطورةُ الإباحيّة

لو أنَّ خطورةَ الإباحيّةِ تكمنُ فقط في البعدِ عنِ العبادةِ والتقرّبِ إلى اللهِ، لقلنا إنّه أمرٌ شخصيٌّ يعودُ لكلِّ إنسانٍ وسيُحاسبُه اللهُ عليه.
ولكنَّ أبعادَ الموضوعِ أكثرُ تشعّبًا من ذلك بكثير، بحيثُ يتعدّى الأمرُ رقعةَ الفردِ، ليؤثّرَ على المجتمعِ ككلّ.

فورةُ الشباب:

إنَّ الشبابَ متمرّدٌ، يريدُ أن يُثبتَ وجودَه وأهمّيّتَه، ويلفتَ الأنظارَ إليه، وهو ثائرٌ على ما هو تقليديٌّ، دائمُ البحثِ عن الجديدِ والمتميّز.
إنَّ هذه الصفاتِ هي التي تجعلُ مرحلةَ الشبابِ مليئةً بالطموحِ والتحدّي والقوّة، وهي ما يُغيّرُ الواقعَ ويجدّدُ الحياةَ ويدفعُ إلى التقدّم.
ولا يخلو الأمرُ من عيوب، فالحماسُ كثيرًا ما يتخطّى حدودَ الاندفاع، والثورةُ قد تصيرُ عبثًا، والتمرّدُ قد يتحوّلُ إلى همجيّة.
إنَّ موضعَ الخطورةِ في سنِّ الشبابِ يكمنُ في الرغبةِ الجامحةِ في فعلِ كلِّ شيء، حيثُ كلُّ شيءٍ جديدٌ، وكلُّ شيءٍ له بريقٌ وشهوة.. ثمَّ لا تلبثُ الأشياءُ أن تفقدَ بريقَها تدريجيًّا مع الزمنِ من فرطِ الاعتيادِ والرتابة.
لهذا فإنَّ التجريبَ هو السّمةُ المميّزةُ لمرحلتيِ الطفولةِ والشباب، وإن كانَ في مرحلةِ الشبابِ يقترنُ باندفاعٍ جارفٍ وحماسٍ متهوّر، ورغبةٍ جامحةٍ في الخروجِ من رقابةِ الأهلِ ونصائحِهم، فخبرةُ الكبارِ لا محلَّ لها من الإعراب، فخوضُ الآخرينَ للتجربةِ لا يمنحُ لذتَها للشابّ.. إنّها تجربتُه هو وعليه أن يخوضَها.. إنّها تفّاحتُه هو، وعليه أن يتذوّقَها، حتّى لو طُردَ بسببِها من الجنّة!
فلو سألتَ معظمَ المدخّنينَ من الشبابِ عن سببِ تدخينِهم رغمَ أنّهم يعرفونَ أضرارَ التدخينِ جيّدًا، لأجابكَ ببساطةٍ: أردتُ أن أجرّب!
كما لوحظَ أنَّ حواليَ ٦٠٪ من الشبابِ الذينَ يتناولونَ المخدّراتِ يجرّبونها

فقط، ثم يُقلعونَ عنها دونَ أن يُدمنوها.

وما أكثرَ الشبابَ الذينَ يُهدرونَ أعمارَهم في حوادثِ السياراتِ، بسببِ استجابتِهم لرغبتِهم المجنونةِ في القيادةِ السريعة.

إنّنا إذن أمامَ مرحلةٍ من العمرِ، شهوةُ التجريبِ فيها أقوى من العقل.

مرحلةُ التأسيس:

كيفَ إذن يمكنُ استثمارُ طاقةِ الشباب؟

إنّكَ هنا تحتاجُ لشابٍّ على درجةٍ عاليةٍ من الوعي، يلمُّ بقضايا وجودِه، يفهمُ الحياةَ جيدًا، لا يجري وراءَ الشعاراتِ ولا يمكنُ خداعُه.. باختصار: تحتاجُ لشابٍّ مثقّف.

ولكنَّ الثقافةَ لا تتأتّى من فراغ.. إنّها في الأساسِ تعني: مجموعةَ العاداتِ والتقاليدِ التي تميّزُ نظامَ الحياةِ لدى شعبٍ أو جنسٍ ما.. لهذا فالإلمامُ بها يحتاجُ لوقتٍ طويلٍ، واجتهادٍ في القراءةِ والاستماعِ والمشاهدةِ والتعلّمِ والمقارنةِ والتحليلِ والنقاش.. إنّها مزيجٌ من كلِّ شيءٍ، وهي لا تقتصرُ فقط على الخبرةِ اليوميّةِ ومشاهدةِ التلفازِ والتعليم، فليسَ كلُّ من يدبُّ على أرضِ الحياةِ مثقّف، ولا كلُّ من يشاهدُ التلفازَ عاقلا!، لا ولا كلُّ متعلّمٍ يفهمُ ما حولَه!

ولعلّه قد آنَ الأوانُ لتصحيحِ المقولةِ الشائعة: "أكبرُ منكَ بيومٍ، يفوقُك معرفةً بعام!"، فلو كانَ ذلك كذلك، لبُعثَ الأنبياءُ وهم في أرذلِ العمرِ، ولنبغَ العلماءُ والمبدعونَ وهم على أبوابِ القبر!

ولكنَّ الصحيحَ أن نقول:

أقرأُ منكَ بكتابٍ، أعرفُ عنكَ بعمرِ مؤلّفِه!

أكثرُ تأمّلا عنكَ بساعةٍ، أحكمُ منكَ بقدرِ عمقِ تأمُّلِه!

أكثرُ احتكاكًا منكَ بالعباقرةِ والحكماءِ والمبدعين، أفهمُ للحياةِ منكَ بقدرِ عددِهم!

إنَّ الخبرةَ والحكمةَ في الحياةِ لا تُقاسانِ بالسنّ: إنَّ ذلكَ يعتمدُ على درجةِ

ذكاءِ المرءِ وقدرتِه على الاستيعابِ ووضوحِ بصيرتِه، ودرجةِ نضجِ البيئةِ والمجتمعِ من حولِه، ومستوى تعليمِه، وكمٍّ وكيفِ وعمقِ قراءاتِه ومشاهداتِه.

إذن فالموضوعُ كبيرٌ وعميق، وهو مشوارُ حياةٍ كاملٌ، يبدأُ مع التربيةِ في الصغر، لتحبيبِ المعرفةِ للطفل، ولتنميةِ عقلٍ يطرحُ التساؤلاتِ باستمرارٍ، لا يأخذُ بالمسلّماتِ ببساطة، ولا يقبلُ شيئًا بدونِ تفسيرٍ مقبول، ويستمرُّ في مرحلةِ الشبابِ، حيثُ يبحثُ الفردُ عن شخصيّتِه ومواطنِ تميّزِه وهدفِه في الحياة.

ومرحلةُ الشبابِ هي الفترةُ المثلى لاكتسابِ العلمِ والمعرفة، فبخلافِ أنَّ الأسرةَ تتحمّلُ عن الشابِّ أعباءَه الماديّةَ والحياتيّة، فإنَّ الذهنَ يكونُ في أوجِ تألّقِه وقابليّتِه للتحصيل، فمعَ تقدّمِ العمرِ وتخطّي الثلاثين، تأخذُ الخلايا العصبيّةُ في الانهيارِ التدريجيّ، ويقلُّ التركيزُ مع كثرةِ المشاغلِ والمشاكل، ويتقلّصُ وقتُ الفراغِ مع تزايدِ المسئوليّات، وتضعفُ الهمّةُ ويزدادُ الحذرُ خوفًا من تبعاتِ أيِّ قرارٍ مغامرٍ على الأسرةِ والأبناء.

الخلاصةُ أن ما يكتسبُه المرءُ من المعرفةِ والثقافةِ في طفولتِه وشبابِه، هو الأساسُ الذي يُكملُ عليه بناءَ باقي حياتِه[1][1].

---

[1][1] أهميّةُ الثقافة:

نظرًا لأنّكَ تُقابلُ هذه الأيّامَ الكثيرينَ ممّنَ مسخَ التعليمُ والإعلامُ عقولَهم، فتجدُهم يسألونَكَ عنْ ذلكِ السببِ العجيبِ الذي يدفعُكَ للقراءةِ والمعرفةِ ووجعِ الدماغ، فإنَّ لزامًا علينا أن نحاولَ الإجابة:

- إدراكُ حقائقَ متعدّدةٍ، ممّا يُعطي مرجعيّةً فكريّةً للحكمِ على الأشياء.
- فهمُ النفسِ البشريّةِ، وإدراكُ المرءِ لجوانبِ شخصيّتِه.
- الاستفادةُ من تجاربِ الآخرينَ، بما فيها من نجاحاتٍ وإخفاقات.
- تنميةُ المواهبِ والقدرات، وخلقُ الأفكارِ الجديدةِ، والابتكار.
- تقييمُ التراثِ والفكرِ ليتناسبا مع القيمِ الدينيّةِ ومتغيّراتِ العصر، بدلا من الوقوعِ في دائرةِ التقليدِ الأعمى للعاداتِ والتقاليدِ التي لا تستندُ إلى أيِّ أساس، أو السقوطِ في هاويةِ التغريبِ وتقليدِ الغربِ بلا وعي.
- القضاءُ على التعصّب، لأنَّ المثقّفَ يدركُ جيّدًا أنَّ آراءَه الخاصّةَ -إذا لم تستندْ إلى أساسٍ دينيٍّ أو تجاربَ علميّةٍ أو خبراتٍ تاريخيّةٍ- فإنّها لا تتعدّى مجموعةً من القناعاتِ الشخصيّةِ القابلةِ للتغيير، ممّا يتطلّبُ التعرّفَ على أفكارِ الآخرينَ لعقدِ المقارنة.

حكمة:

شبابٌ بلا ثقافة = مجموعةً من (البِلْيِ) يركلُها كلُّ من يشاءُ في أيِّ اتّجاه.

شعارُ السذّج:

أكثرُ ما يثيرُ شفقتَك، أن ترى الشابَّ والشابّةَ، يظنُّ كلٌّ منهما بنفسِه التفرّدَ والتميّز، وكأنّه قد أتى بما لم يأتِ به الأوائلُ، مع أنّه يقولُ ويفعلُ ويكرّرُ نفسَ ما يقولُه ويفعلُه الشبابُ في سنّه في كلِّ مكان، والذي يقلعونَ عنه ويخجلونَ منه بمجرّدِ تخطّي تلك المرحلةِ السنّيّة، بحيثُ يقترنُ دائمًا في ذكرياتِهم بعبارةِ: "طيش الشباب".

ومن أدلِّ الأمثلةِ على ذلك، تلك الفلسفةُ (العبقريّةُ) (المبتكرةُ) التي تنصُّ

- **مواجهةُ شهواتِ النفس، ونزوعِ روحِ الشبابِ للمرحِ والانطلاقِ العابثِ والمجونِ والاستهتار، وذلك سهلٌ بالنسبةِ للمثقّفِ، لأنّه دائمًا يسألُ نفسَه قبلَ أن يفعلَ أيَّ شيءٍ: لماذا أفعلُه؟.. وماذا سيحدثُ بعدَ أن أفعلَه؟**
- **اكتسابُ قوّةِ المنطقِ والحُجّةِ، والقدرةُ على الإقناعِ عندَ النقاش، نتيجةً للاستدلالِ بآراءِ وأفكارِ خيرةِ العقولِ في العالمِ وعبرَ التاريخ.**
- **قوّةُ الشخصيّة، والثقةُ عندَ اتخاذِ القرار.**
- **وضوحُ الرؤية، وسرعةُ الاستجابةِ عندَ الوقوعِ في الأزمات، وصعوبةُ الوقوعِ في الخداع.**
- **توقّعُ المستقبلِ، بناءً على تحليلِ الماضي والحاضر.**
- **فهمُ ما يدورُ في المجتمع، وإدراكُ القوى الخفيّةِ والشريرةِ التي تحاولُ أن تتلاعبَ بمصائرِ البشرِ، بما لها من نقودٍ ونفوذٍ ووسائلَ إعلاميّة.**
- **رقيُّ الذوق، والقدرةُ على تمييزِ الجيّدِ من الرديء، دونَ الوقوعِ في أسرِ الموضاتِ والدعاياتِ الملحّةِ وغسيلِ المخِّ الإعلاميّ.**
- **الشعورُ بالمسئوليّة، فالمثقفُ يجدُ نفسَه مسئولا عن أن يكونَ وعْيَ من لا يعي، عينَ من لا يرى، أذنَ من لا يسمعُ، وضميرَ من نامتْ ضمائرُهم.**
- **ثقةُ العقلاءِ في آراءِ وأحكامِ ونصائحِ المثقّف.**

ومن المؤّكدِ أنّكَ لن تجدَ جاهلا يرقى في المواقعِ الهامّةِ والقياديّـةِ ـ باسـتثناءِ مجلسي الشعبِ والشورى المصريّين!!

علي:

"لماذا أوجعُ رأسي بالتفكيرِ من الآنِ في كلِّ هذه الأمور؟.. إنّني أريدُ أن أستمتعَ بحياتي.. حينما أواجهُ مثلَ هذه المشاكلِ إذن يحلّها ربُّنا.. يا عمّ كبّر"!

وهذه الفلسفةُ العبقريّةُ لها مصطلحاتٌ كثيرةٌ تعبّرُ عنها في كلمةٍ موجزةٍ، يجهلُها مبتكروها، منها: السلبيّة.. السطحيّة.. التفاهة.. إلخ!

وسنرى الآنَ خطورةَ مثلِ هذه (الفلسفةِ) العبقريّةِ على مستقبلِ معتنقيها، بل والمحيطينَ بهم.

مثالٌ سائد:

غالبيّةُ الشبابِ يفكّرُ في الزواجِ بالمُسلّمةِ الآتية:

الزواجُ ممتعٌ، وهو يؤدّي إلى الاستقرار، وهو مرادفٌ من مرادفاتِ السعادة.

وكلُّهم يعرفُ أنَّ هناكَ زيجاتٍ تفشلُ، وزيجاتٍ تعيسة، وأزواجًا معذّبون.

ولكن كم منهم يتوقّفُ لكي يبحثَ بجدّيّةٍ عن أسبابِ نجاحِ الزيجاتِ التي نجحت، وأسبابِ فشلِ التي فشلت؟

كم منهم يتابعُ إحصائيّاتِ نسبِ الطلاقِ والعنفِ الأسري؟

كم منهم يقرأُ عن تجاربِ الآخرينَ ليتأمّلَها ويحلّلَها ويتّخذَ منها مرجعًا يقارنُ نفسَه به، ليعدّلَ ما به من عيوبٍ ويعمّقَ ما به من ميزات؟

أقلُّ القليل!

وفي النهايةِ يبدو لكَ الأمرُ كأنّه عمليةٌ عشوائيّةٌ تمامًا، قد تفشلُ مع الآخرين، ولكنّ الفشلَ فيها بعيدٌ كلَّ البعدِ عنك!![٣][2]

---

[2][2] سؤالٌ للتفكير، لمن يحلمونَ بحياةٍ زوجيةٍ سعيدة:

لماذا تكثرُ حالاتُ الطلاقِ في المدن، رغمَ أنَّ معظمَ الزيجاتِ الفاشلةِ كانَ قائمًا على حبٍّ متبادلٍ بينَ الطرفين؟

هل السببُ هو قلّةُ الالتزامِ الدينيّ، وتقصيرُ كلِّ طرفٍ في أداءِ واجبِه الزوجيِّ تجاهَ الطرفِ الآخر؟

المسئوليّةُ الجسيمة:

إنّ أصعبَ ما في الدنيا هو تربيةُ الأبناء، لأنّ ذلكَ يتطلّبُ فهمَ نفسيّةِ الطفلِ فهمًا صحيحًا، مع ملاحظةِ أنّ كلّ طفلٍ هو بصمةٌ إنسانيّةٌ جديدةٌ، مستقلّةٌ تمامًا وفريدة، ولا مطابقَ لها منذُ بدءِ الخليقةِ إلى نهايتِها.

لهذا فإنّ التعاملَ مع الطفلِ لا يجبُ أن يقتصرَ على العاداتِ الموروثةِ فقط، ولا حتّى النظريّاتِ الاجتماعيّةِ وحدَها، بل يتطلّبُ ذلكَ أن نفهمَ كلّ طفلٍ أولا، ونحدّدَ الأنسبَ من الطرقِ للتعاملِ معه، في كلِّ مرحلةٍ من مراحلِ حياتِه المختلفة، بدونِ أن نُشعرَ الأبناءَ بالظلمِ أو التفريقِ في المعاملة، وبحيثُ ندعمُ الاستعداداتِ الفطريّةَ القويمةَ في نفسِ كلِّ طفل، ونحدُّ أو نتخلّصُ من الاستعداداتِ الفطريّةِ الفاسدةِ لديه!

يا له من أمرٍ شاقٍّ بالنسبةِ لطفلٍ واحد!

كيفَ إذن نستعدُّ لمسئوليّةٍ جسيمةٍ كهذه؟

أبسطُ ما يمكنُ فعلُه، هو الإلمامُ بتجاربِ وخبراتِ السابقينَ في هذا المجال، ومعرفةُ الآدابِ والقواعدِ التي وضعها الدينُ لتربيةِ الأبناء، وقراءةُ الكتبِ

هل السببُ هو مفهومُ الحبِّ الخاطئُ الناتجُ عنِ الهلوسةِ الجنسيةِ والأفكارِ الإعلاميّةِ المغلوطة؟

هل السببُ هو أنّ الطرفينِ فوجئا بأنّ الحياةَ الزوجيّةَ مختلفةٌ تمامًا عن أحلامِ الحبِّ الورديةِ التي رسماها قبلَ الزواج؟

هل السببُ هو انحرافُ النساءِ عن الفطرةِ السويّةِ، وتمرّدُهنّ غيرُ المبرّرِ على رجالِهنّ؟

هل السببُ هو عملُ المرأة، الذي يزيدُ المشاكلَ الأسريّةَ والضغوطَ النفسيّةَ، ويساعدُ على انغماسِ الزوجِ في علاقاتِ حبٍّ مراهقةٍ مع زميلتِه في العملِ أو سكرتيرتِه، هربًا من الواقعِ السخيف، وانغماسِ الزوجةِ في مثلِ هذه العلاقاتِ مع زميلِها أو رئيسِها؟

هل السببُ هو انغماسُ الفردِ في الأنانيةِ والفرديّة، وعدمُ اكتراثِه برأيِ المجتمعِ فيه عندما يُقدمُ على خُطوةِ الطلاق؟

هل السببُ هو تزايدُ عددِ المطلقينَ والمطلّقات، ممّا يجعلُ الفردَ يُقدمُ على الطلاقِ باطمئنان، فهو لن يكونَ شاذًا، ولن يلفتَ أيَّ انتباه؟

أم يا تُرى ما هو السبب؟

التي وُضعتْ في علمِ نفسِ الطفلِ، بل في علمِ نفسِ الجنين!
هذا ـ كما قلنا من قبلُ ـ بالإضافةِ لمراعاةِ التفرّدِ في شخصيّةِ كلِّ طفل.
المشكلةُ هنا ـ تبعًا لفلسفةِ (السطحيّة)، أنَّ الشابَّ يؤجّلُ كلَّ شيءٍ إلى لحظةِ مواجهتِه، حيثُ يتمُّ تطبيقُ النظريّةِ كالتالي:
"حينما أتزوّجُ فسوف أتعلّمُ كيفَ أتعاملُ مع مشاكلِ الزواج، وحينما أُنجبُ فسوف أتعلّمُ كيفَ أُعاملُ أطفالي".
هيهاتَ هيهاتَ!
أينَ له الوقتُ والقدرةُ على الاستيعاب؟
و كيفَ يضمنُ أن يتّخذَ قرارًا صائبًا، وهو غارقٌ وسْطَ المشاكلِ متفاعلٌ معها، مهمومٌ بها؟
وهل التجربةُ تحتملُ الفشل، حتّى يمكنَ القولُ إنّ بإمكانِه أن يتعلّمَ من الفشل؟
هل يمكنُ المخاطرةُ بفشلِ الزواجِ، أو بإساءةِ تربيةِ أحدِ الأبناء؟
وهل يمكنُ أن تنعمَ أسرةٌ بالسعادةِ لو انحرفَ أحدُ أبنائها؟
يا لها من مقامرةٍ بحياةٍ كاملة!

ذواتٌ متداخلة:

إنَّ بداخلِ كلِّ إنسانٍ ثلاثَ ذواتٍ متداخلة:

- الذاتُ الطفوليّة: ويمكنُ تسميتُها الأنا أو النفسَ الأمّارة، وهي تبحثُ فقط عن إشباعِ شهواتِها بدونِ عقلٍ أو ضمير.
- الذاتُ البالغة: وهذه تصطبغُ أكثرَ بحكمةِ العقل، وتميلُ لاختيارِ القراراتِ الأكثرَ نفعًا والأقلَّ ضررا، حتّى لو كانت ضدّ شهواتِ النفس.
- الذاتُ الوالديّة: ويمكنُ تسميتُها الأنا العليا، وهي تتميّزُ بمراعاةِ الآخرين، والاهتمامِ بنفعِهم، إمّا عن طريقِ النصحِ أو المساعدةِ أو المشاركةِ الوجدانيّة.

وهذه الذواتُ لا تنمو من فراغ، فهي تتولّدُ مع التربيةِ والزمن، فالطفلُ الصغيرُ تغلبُ عليه الأنانيةُ والذاتُ الطفوليّة، ويميلُ في الغالبِ للكذبِ والخداعِ للوصول إلى مآربه.

ولكنَّ التربيةَ تحاولُ أن تحدَّ من هذه الأنانية، وتحاولُ أن تغرسَ فيه الضميرَ، وتمنحُه المعرفةَ وطرقَ التفكيرِ اللازمةَ لتنميةِ عقلِه، وتغرسُ فيه الانتماءَ للآخرينَ كالأسرةِ والعائلةِ والأصدقاءِ والوطن.

فما الذي يحدثُ إذن، حينما تصطدمُ الذاتُ الطفوليّةُ في داخلِ المراهقِ بشهوةِ الجنس، التي يعملُ كلُّ ما يسمعُه ويراه ويقرؤه على إذكائِها، وتهفو غرائزُه إليها؟

وهل سيتبقى لدى المُراهقِ الذي يُضيعُ عُمرَه لاهثًا وراءَ السرابِ الجنسيّ، وقتٌ يساعدُه على تنميةِ ذاتِه الطفوليّةِ إلى ذاتٍ عاقلةٍ وذاتٍ أبويّة؟

نازعتان:

تنقسمُ حياةُ الإنسانِ إلى مرحلتين:

- **في النصفِ الأوّلِ من حياتِه، حيثُ يكونُ في أوجِ شبابِه، يعيشُ يُقاومُ شهوةَ الجنس.**
- **وفي النصفِ الثاني، حينما يكونُ قد تزوّجَ وأنجبَ وفترتْ عندَه الشهوةُ الأولى، يعيشُ يقاومُ شهوةَ المال.. المالُ الذي يحقّقُ له متعَ الحياةِ، وبه يمنحُ أولادَه مستقبلا أفضل.**

وحتمًا لا يكونُ هذا التمايزُ بينَ المرحلتينِ حادًّا لهذه الدرجة، حيثُ إنّهما بالتأكيدِ متداخلتان، ولكنّ التأثيرَ الأكبرَ للشهوةِ يكونُ في المرحلةِ الأولى، والتأثيرَ الأكبرَ للمالِ يكونُ في المرحلةِ الثانية.

وإذا كنّا نستطيعُ تقسيمَ النوازعِ، فإنّنا لا نستطيعُ تقسيمَ الضميرِ بمثلِ هذا الشكل، فالضميرُ لا يتجزّأ.

فإذا تركَ الإنسانُ نفسَه في أوّلِ مواجهةٍ مع أوّلِ شهوةٍ يفشلُ في الاختبار، فإنّه سيستسهلُ بعدَها عدمَ المقاومة، وسيتدرّبُ على أن يبحثَ عمّا يُشبعُ شهواتِه مهما كانتِ الوسيلة، فكثيرًا يصعبُ التراجعُ على الإنسان، حينما يشعرُ بأنّه قد أخطأ خطأً فادحًا.

فترةٌ حرجة:

من كل ما سبق نكتشف مدى خطورةِ مرحلتي الطفولةِ والمراهقةِ، حيثُ يتم تشكيلُ الإنسان في هاتين المرحلتين:

١- تشكيلُ ثقافتِه.
٢- تشكيلُ ذاتِه وشخصيّته.
٣- تشكيلُ ضميره لمقاومةِ اختباري الجنس والمال.
٤- تحديدُ طموحاتِه وأهدافِه في الحياة، ومنهجَه في التعامل مع زوجتِه وأولادِه.

ولقد وجدَ المفسدونَ عبرَ خبراتِ التاريخ، أن تضييعَ مثل هذه الفترةِ من عمر الإنسان يدمّرُه تدميرًا بليغًا يصعبُ الشفاءُ منه، ممّا يساعدُ على تدمير النمع ككلّ.

الشبابُ والإباحيّة:

إنّ نتيجةَ التعرّضِ الملحِّ لمظاهرِ الإباحيّةِ، تأتي في الغالبِ ضدَّ الضميرِ وضدَّ العقلِ، وبهذا تجدُ غالبيّةَ المراهقينَ ينخرطونَ في الهلوسةِ الجنسيّةِ، واتّباعِ الموضاتِ الفاضحة، واستخدامِ الألفاظِ النابيةِ.. ولكي يستريحَ المراهقُ من تأنيبِ ضميرِه، فإنّه يعمدُ إلى مصاحبةِ ومصادقةِ من هم على شاكلتِه، الذينَ يُشعرونه بأنَّ مثلَ هذه الأفعالِ والأقوالِ هي الصوابُ بعينِه، بدلا من مصاحبةِ العقلاءِ والملتزمين، الذينَ يُمطرونه بالنصائحِ والتأنيبِ باستمرار.

و هذا النمطُ يجعلُ التافهينَ يزدادونَ تفاهةً مع الوقت، فهم يتقدّمونَ في العمرِ ولا يتقدّمونَ في المعرفة، وكلُّ مشاهداتِهم ونقاشاتِهم وتعليقاتِهم ونِكاتِهم تلفُّ وتدورُ حولَ العلاقةِ بينِ الجنسينِ في جانبٍ واحدٍ فقط منها: جانبِ الجسد.

كما أنّ تجاهلَ الضميرِ المستمرَّ يجعلُ التدرّجَ في الخطإِ أمرًا يسيرًا، فالأخطاءُ أشبهُ ما تكونُ بمنحدرٍ زَلِق، التراجعُ فيه عسيرٌ، بينما التمادي لا يحتاجُ لأدنى مجهود.. إنّكَ تتركُ نفسَكَ تسقطُ فقط. وفيما يلي مزيدٌ من التفصيلِ

لهذه النقاط

أعراضُ الإباحيّة:

عندَ تعرّضِ المراهقينَ لضغوطِ الإباحيّةِ المتواصلةِ على شهواتِهم، تتفشّى بينَهم (أعراضٌ) ثابتةٌ، كأنّهم أصيبوا بجرثومةٍ تكادُ لا تخضعُ لعواملِ التطوّرِ مع الزمن، ولا تختلفُ من مكانٍ لآخر.

ومن هذه الأعراض:

- الاهتمامُ المفرطُ بالمظهر، على حسابِ الجوهر.

- اتّباعُ الموضاتِ العجيبة، في الملابسِ وقصّاتِ الشعرِ وخلافِهما.

- الجريُ وراءَ الشعاراتِ الجديدةِ مهما كانت، وتقليدُ كلِّ ما يأتي من الغربِ لفظًا وشكلا ونمطَ حياة، اعتقادًا من الشابِّ أنَّ هذا هو ما يمنحُه القيمةَ والتحضّرَ، ويجعلُه (مودرن) و(سبور) وملفتًا للأنظار!!

- التلذّذُ باستعمالِ الألفاظِ النابيةِ والقبيحة، والشتائمِ التي تبدأُ بـ: يا بن الـ ...، وتكتملُ بكلمةٍ جنسية، وسبُّ الدين، فترى الشابَّ من هؤلاءِ يتعمّدُ اختيارَ مثلِ تلكَ الألفاظِ والشتائمِ ليشعرَ بأنّه خشنٌ و(صايعٌ)، يُخيفُ مَن أمامَه، ويجبرُه على (احترامِه)!!

- سماعُ الأغاني الهابطة، والرقصُ الهستيري.

- الابتعادُ عن الدين، وإهمالُ فروضِه، وجهلُ أساسيّاتِه وتاريخِه.

- الاستهتارُ بقيمِ المجتمعِ ونصائحِ الحكماءِ، وعدمُ احترامِ الآباءِ والمدرّسين، في جوٍّ عامٍّ من الاستهتارِ وتحطّمِ الرموز.

- إهمالُ الدراسة.

- ضحالةُ المعرفةِ والثقافة.

- تعليقُ صورِ الممثلاتِ والراقصاتِ العاريةِ أو الفاضحةِ على حوائطِ الحجرة.

- متابعةُ كلِّ ما يثيرُ الغرائزَ: في التلفازِ والفيديو والسينما، والمجلاتِ والرواياتِ والكتب.. (وهم لا يعانونَ مشقّةً في الحصولِ على هذه الموادّ،

فهي تحشو الإعلامَ المصريّ!!.. ولن ننسى الدورَ العبقريَّ الذي تلعبُه مطبوعاتُ وأفلامُ وزارةِ الثقافة!!!!!!)

- تناقلُ الصورِ والأفلامِ الإباحيّة.
- الدخولُ في المناقشاتِ المطوّلةِ حولَ الشهوةِ والجنسِ والفضائحِ والنكاتِ الإباحية.
- تدخينُ السجائر، وغالبًا ما يتطوّرُ الأمرُ إلى شربِ البانجو والحشيشِ والحبوبِ المخدّرةِ والخمورِ ... إلخ.
- حملُ مطواةٍ أو خنجرٍ أو ما إلى ذلك
- الإفراطُ في ممارسةِ العادةِ السرّيّة، وأحيانًا بصورةٍ علنيّةٍ لإثباتِ الفحولة[3].
- معاكسةُ الفتياتِ ومحاولةُ استمالتِهنّ.. وبالنسبةِ للفتياتِ فإنّهنَّ يلجأنَ للملابسِ الفاضحةِ والمشيةِ الخليعةِ والضحكاتِ المثيرةِ والنظراتِ المغريةِ لاجتذابِ الفتية.
- رسائلُ الغرامِ ومعاكساتُ الهاتف.
- الدخولُ في قصصِ حبٍّ وهميّة، لا يفترقُ الحبُّ فيها عن الجنس، يقومُ الإعجابُ فيها على مقوّماتِ الجسد.. ويمكنُكَ أن تتابعَ هذه القصصَ (الملتهبةَ) في الحدائقِ العامّةِ وعلى الكورنيشِ وفوقَ الكباري وفي الملاهي والمراقصِ وصالاتِ الديسكو.
- قد يتطوّرُ الأمرُ إلى الزنا.

---

[3] لا تتعجّب.. بعضُ المنحطّينَ الذينَ فرض نظامُ التعليمِ وجودَهم معي في فصلٍ دراسي واحدٍ في المرحلةِ الإعداديّة، كانوا يقومونَ بذلكَ في الفصل!!.. وفي أثناءِ شرحِ المدرّسة!!!.. وهذا على سبيل الإطراءِ على جمال ساقيها أو خاصرتِها!!!!.. هل تتعجّبُ إذن عندما تسمعُ قصّةَ اعتداءِ مجموعةٍ من الطلبةِ في المرحلةِ الإعداديّةِ أو الثانويّةِ على مدرّستهم؟؟!!

- و قد يتطوّرُ إلى (الزنا اللا عرفي)، الذي اشتُهرَ خطأً باسمِ (الزواجِ العرفي) والذي يتمُّ بهدفِ إشباعِ الشهوة.. حيثُ تُعطي كلمةُ "الزواج" في هذه الحالةِ، مسكّناً قويًّا لبقايا الضميرِ، وهو بالتأكيدِ ليس زواجًا، فهو لم يستكملْ أركانَ الزواجِ الشرعيّةَ وأهمُّها نيّةُ الدوامِ والإشهار، كما أنّه ليس عُرفيًّا، فالعُرفُ لا يُقرُّه، ولا يعترفُ به الآباء، بل يعتبرونه فضيحةً وعارًا!

- وفي كلِّ الأحوالِ يتمُّ النظرُ إلى الزواجِ باعتبارِه السعادةَ المقطّرة، والحلَّ السحريَّ لكلِّ مشاكِلِهم.. وهي لا تتعدّى الشهوة!

وأنا مضطر للاكتفاءِ بذا القدر، وعلى من يريدُ الاستزادةَ أن يخرجَ للشوارعِ والحدائقِ العامّةِ والمدارسِ والجامعات!!.. أو على الأقل فلينْظرْ في المرآة، فقليلونَ جدا من يَحيَونَ في مجتمعِنا هم الذين عصمهم ضميرُهم أو عقلُهم عن تضييعِ أهمِ فتراتِ حياتِهم في هذا الهلس، حتّى لو اضطرّوا لمعاناةِ الكبتِ والضيق، نتيجةً لأن كل ما حولَهم يثيرُ شهواتِهم، وبالتأكيدِ لا يتناسبُ مع مبادئِهم، ولا الصورةِ التي يتمنّوَنها لنمعهم[4]!

أمراضُ الإباحيّة:

تكلّمنا عن أعراضِ تعريضِ المراهقينَ لجرثومةِ الإباحيّة، بقيَ أن نتكلّمَ عن الأمراضِ الناجمةِ عن هذا:

- موتُ الضميرِ تدريجيًّا.
- تدنّي المستوى الدراسي، مما يؤدّي إلى أن يخسرَ الشابُّ فرصتَه في الحياة، لأنَّ انخفاضَ درجاتِه قد يحرمُه من دخولِ التعليمِ الثانويّ، أو قد يمنعُه من دخولِ الكلّيّةِ التي يرغبُها، وهذا يزيدُ من حالةِ الفوضى في المجتمع، لأنَّ كثيرًا من أعضائِه ليسوا في أماكنِهم الحقيقيّة.
- (التخلّفُ) العقلي، فالعضوُ الذي لا يُستعملُ يضمر، والعقلُ السليمُ يحتاجُ للتدريبِ على التفكيرِ العلميِّ والتأمّلِ والتحليلِ وتوقّعِ النتائجِ قبلَ الإقدامِ على أيّةِ خُطوة.

---

[4] الإباحيةُ هي التي تُثيرُ الشهوةَ، ممّا يؤدّي إلى الشعورِ بالكبت.. إذن فالكبتُ ناتجٌ عن الإباحيّةِ والإثارة، وليس سببُه هو الالتزامَ الأخلاقي كما يدعي البعض!!

- الجهلُ المُدقِعُ (في كلِّ ما يتعدّى الجنس، وأخبارَ الممثلاتِ والراقصاتِ والمغنينَ ولاعبي الكرة)!

- انحطاطُ الذوق، فالذوقُ السليمُ يستندُ إلى الضميرِ والعقلِ والثقافة، كما أنَّ اللهاثَ خلفَ الموادِّ الإباحيّةِ يدفعُ المرءَ إلى مشاهدةِ أو قراءةِ أعمالٍ رديئةٍ ضعيفةِ المستوى لمجردِ مشاهدةِ لقطةٍ خليعةٍ، أو قراءةِ جملةٍ فاحشة (قصة ولا مناظر يا كابتن؟!!!!)، مما يهبطُ بالذوقِ بالتدريج، نتيجةً لاعتيادِ كلِّ ما هو فاسدٌ وسطحيٌّ وركيك.

- فقدانُ الانتماءِ إلى الوطن، نتيجةً للجهلِ بقضاياهُ ومشاكلِه وحاضرِه ومستقبلِه وكذلك تاريخه!!

- كثرةُ محاولاتِ إثباتِ الرجولةِ باستخدامِ المطواةِ قد يؤدّي إلى ارتكابِ جريمةِ قتل٥[5]!!

- ارتفاعُ معدّلاتِ جرائمِ الاغتصاب٦[6].

5[5] راجعِ الصحفَ اليوميّة، وما تنقلُه من أعمال البلطجةِ وحوادثِ القتل في الشوارعِ والمدارسِ والجامعاتِ وصالاتِ الديسكو!!

6[6] الإحصائيّاتُ المعلنةُ تفيدُ بأن جرائمَ الاغتصابِ في (مصرَ) قد وصلتْ إلى خُمسِ الجرائمِ المبلغ عنها، هذا مع ملاحظةِ أن ما يتم الإبلاغُ عنه من هذه الجرائمِ لا يتعدّى العُشر، بسببِ الخوفِ من الفضيحةِ والعار!!.. وإنّي لأجدُ من المفيدِ هنا أن أُرفقَ هذا المقالَ من مقالات "فهامة أحمد رجب"، وهو بعنوان "الاغتصاب":

[أصبحتْ جريمةُ الاغتصابِ ظاهرةً، وما ينُشرُ يقل بمراحلَ عن العددِ الحقيقيّ، فمعظمُ المجني عليهن لا يُبلغنَ الشرطةَ دفعًا للفضيحةِ والعار.. وقد اكتفينا بنشر أخبارِ هذه الجريمةِ يوميا والمطالبةِ بتغليظِ العقوبة، ولم يَعْنِنا البحثُ فيما وراءَ الجريمة: أسبابِها ودوافعِها!!

وفي الغربِ حيثُ التحرّرُ إلى حد الإباحيّة، وحيثُ تنعدمُ مشاكلُ الحرمان الجنسيّ، قالَ بعضُ علماءِ النفسِ إن قلّةً ضئيلةً ترتكبُ هذه الجريمة بقصدِ المتعةِ الجسديّة، بينما يرتكبُها البقيّةُ عداءً وانتقامًا من المجتمع، كذلك هناكَ الكثيرُ من المغتصبينَ يشعرونَ تجاه النساء بالكراهيةِ أوالخوفِ، ممّا يدفعُهم إلى محاولةِ إثباتِ قوّتِهم وسيطرتِهم على المرأةِ بالأذى والإذلال.

لكنْ بالقطعِ تختلفُ أسبابُ هذه الجريمةُ في مجتمعِنا.. فما هي هذه الأسباب؟

- هل هو الحرمان؟
- هل هو الفقرُ والعجزُ عن اتّخاذِ زوجةٍ وتكوين أسرة؟
- هل هي المقاهي السّرّيّةُ للفديو والدشّ، والأفلامُ التي تُضرمُ النارَ في عروقِ الشباب؟.. (لا أدري لماذا يُعفي (أحمد رجب) التلفازَ من هذه الجريمة؟؟!!).
- هل هي هذه الأسبابُ مجتمعة؟ (نسىَ (أحمد رجب) أن يتساءل: هل هو غيابُ الدين والضمير والعقل والثقافةُ؟)

ثم ما هي السماتُ المشتركةُ بينَ مرتكبي هذه الجريمة؟

هل حظيتْ مشكلةُ الاغتصابِ عندَنا بأي دراسةٍ جادّة؟

هل عرفْنا الأسبابَ والدوافعَ لكي نُطّبّقَ أوّلَ درسٍ في علمِ الجريمة وهو: كيفَ نمنعُ وقوعَها؟

هل يكفي أن نقبضَ كل يومٍ على مغتصبينَ ونحاكمَهم ونسجنَهم ولا شيءَ غيرُ ذلك؟

قديمًا كانوا يعقدونَ اختبارًا لمعرفةِ المجنون منَ العاقل، فكانوا يُدخلونَ الشخصَ قاعةً تغمرُ أرضَها المياهُ من حنفيّةٍ مفتوحة، ويُعطونَه مقشّةً ويطلبونَ منه إزالةَ المياه، فكانَ العاقلُ يبدأُ مهمّتَه بإغلاق الحنفيّة، أمّا المجنونُ فيظل يكنسُ المياهَ بالمقشّةِ إلى ما شاءَ الله!!

وفي جريمةِ الاغتصاب، سنظل نحنُ أيضًا ممسكينَ بالمقشّةِ إلى ما شاءَ الله!].

- زيادةُ معدلاتِ الجرائمِ بشكلٍ عامّ، فالتزحلقُ من خطأٍ لخطأٍ بتأثيرِ أصدقاءِ السوءِ من أيسرِ الأمور.. وفي الغالبِ ستجدُ هذا المسلسلَ التصاعديّ: زنا.. خمر.. إدمان.. سرقة.. اغتصاب.. قتل[7].

- الضعفُ الجنسيُّ أو العجز، نتيجةَ الإفراطِ في ممارسةِ العادةِ السرّيّة.

- عدمُ الإحساسِ بالإشباعِ بعدَ الزواج، بسببِ اعتيادِ الزوجة، والشعورِ بأنّها لا تقدّمُ المتعةَ الخرافيّةَ التي تصوّرُها الأفلامُ والروايات.. وبهذا تستمرُّ المراهقةُ حتّى بعدَ الزواج، من قبيلِ معاكساتِ الهاتف، ومعاكسةِ الفتياتِ في الشارع، والدخولِ في قصصِ حبٍّ وهميّةٍ مع زميلةِ العمل.. إلخ[8].

- الشراهةُ في استعمالِ الفياجرا ومثيلاتِها بدونِ داعٍ، طلبًا لمزيدٍ من المتعةِ الزائفة، مع اللجوءِ لمشاهدةِ الأفلامِ الإباحيةِ طلبًا للإثارةِ

انتهى المقال.. ويجبُ هنا أن نُضيفَ أن قرارًا عشوائيا بتدريس ما يُسمّى خطأً بالثقافةِ الجنسيّةِ في مدارسِنا نتيجةً لضغوطِ الغربِ علينا، لن يؤدّي أبدًا إلى ما يدّعونَه من تقليل معدّل الاغتصاب، فهذا لم يحدثْ في أي دولةٍ غربيّةٍ تدرّسُه، ولن يحدثَ عندَنا، بل سيؤدّي إلى ازديادِ معدّلاتِ الزنا و الزواجِ العرفي (الزنا اللا عرفي) والاغتصابِ والجريمةِ بشكلٍ عامّ!.. والأفضلُ بدلا من ذلك، مراعاةُ اللهِ في إعلامِنا وتعليمِنا، وإشاعةُ جو من القدوةِ الحسنةِ في جميعِ المناصبِ والمنابر.

[7] نفذت المحكمة الجنائيّة حوالي ٦ مليون حكم جنائي في عام ٢٠٠١، وحوالي ٨ مليون حكم جنائي في عام ٢٠٠٢!!.. هذا بخلاف ملايين الأحكام التي لم يتمّ تنفيذها بعد!!

[8] هل يفسّرُ لك هذا تحرّشَ بعضِ المدرسينَ المتزوجينَ بتلميذاتِهم، لدرجةِ التحرّش بطفلةٍ في المرحلةِ الابتدائيّةِ بالملامساتِ غيرِ البريئةِ وخلافِها؟!!!

المفقودة[9]!!

ويمكنُكَ أن تُضيفَ المزيدَ مما تراه حولكَ

تأثيراتٌ مضاعفةٌ للإباحيّة

- طفولةٌ ملوّثة:

[9] إنّنا نردّدُ باستمرارٍ أن الزواجَ نصفُ الدين، ولكن الانحـرافَ الحـالي فـي المجتمعِ جعلَ الزواجَ مُذهبًا لنصفِ الدين!!:

- فالزواجُ اليومَ يُضيفُ أعباءً ماديّةً خرافيّةً على عاتقِ الزوجين، ممّا يـدفعُهما للتخلّي عن مبادِئِهما تدريجيا في سبيل النقود!.. (مثالان: اضـطرارُ الـزوجِ لدفعِ زوجتِه للعمل لمجابهةِ تكاليفِ الحياةِ بما في ذلك من أضـرار.. وقبـولُ الرشوةِ والعمولاتِ وما شابه!).
- كما أن الزواجَ لم يعدْ يمنحُ الحـصانةَ المتخيّلـة، فحتـى (الأسـوياءُ) مـن المتزوجينَ يفعلونَ نفسَ ما يفعلُه المراهقون: يشاهدونَ الـرقصَ والأحـضانَ والقبلاتِ يوميا في التلفاز، ويتتبّعونَ عوراتِ العارياتِ في الشارع.. صـحيحٌ أن الشهوةَ فاترةٌ عندَ المتزوّجينَ عن المراهقينَ، ولكن هذا لا يعفيهم من الإثم، فالمحرّماتُ لا تُقاسُ بشهواتِنا، بل ربّما يكونُ الحسابُ أشـدّ، فـإذا ضـعف المراهقُ أمامَ الشهوةِ فهناك على الأقل سببٌ واضح.. إن مثلَهما في هذا هـو حد الزنا.. فالزاني الذي لم يسبقْ له الزواجُ يجلدُ مئـةَ جلـدة، أمّـا الزانـي المتزوّجُ فيرجمُ حتّى الموت.. كما أن السخريةَ الأكبرَ تتضحُ في الأمرِ التالي: فبدلا من أن يؤدّي فتورُ الشهوةِ عندَ المتزوّجِ إلى اتّزانِه وتفرّغِه لمـسئوليّاتِه في الحياة، تراه يعتبرُ ذلك نقيصةً، ويحاولُ علاجَها بمشاهدةِ الأفلامِ الإباحيّـةِ طلبًا للإثارةِ المفقودة!!

إن ممّا يزيدُ الأمرَ خطورةً أن تأثيراتِ الإباحيّةِ لا تقتصرُ فقط على مرحلةِ المراهقة، بل يتسرّبُ خطرُها ليلوّثَ مرحلةَ الطفولةِ أيضًا، لُينتجَ ما أسمّيه "المراهقة المبكّرة".

إنَّ لدى الأطفالِ شراهةً عجيبةً لمشاهدةِ التلفاز.. وبخلافِ أنَّ هذا يقتلُ لديهم الإحساسَ بقيمةِ الوقتِ وأهمّيّةِ تنظيمِه، ويقتلُ لديهم البحثَ عن وسائلَ أخرى للمعرفةِ كالقراءة، ويُقلّلُ من وقتِ اللعبِ بما له من أهمّيّةٍ جسديّةٍ ونفسيّةٍ واجتماعيّةٍ للطفل، فإنَّ هذا يضعُهم تحتَ تأثيرِ أناسٍ منحلينَ أخلاقيًّا، يلجئونَ من أجلِ رفعِ أجورِهم للمطِّ في المسلسلاتِ والأفلامِ، عن طريقِ اللتِّ والعجنِ في مشاهدِ الحبِّ، المبنيِّ أساسًا على مفاهيمَ مراهقةٍ عبيطة، لا مكانَ للعقلِ فيها ولا للضمير، ولا تخرجُ عن الإعجابِ الشكليِّ، المقترنِ بحالةٍ متردّيةٍ من البلاهة، مع تكرارِ نفسِ المشاهدِ والحوارات، بطريقةٍ تجعلُ الطفلَ يُبرمجُ عليها، ويسعى لتقليدِها!١٠[10]

ليس هذا فحسب، بل إنَّ الأمرَ يتجاوزُ هذا إلى الجنس: فمن مشاهدِ الشهوةِ والشبقِ، إلى مشاهدِ الإثارةِ والعري والرقص، إلى الأحضانِ والقبلاتِ ومشاهدِ الفراش!!

هل تدركُ النتيجةَ الطبيعيّةَ التي تنجمُ عن تعرّضِ الطفلِ المستمرِّ لمثلِ هذا الإفساد، مع ميلِه الفطريِّ للتقليدِ وفضولِه الرهيب؟؟

لكي تتّضحَ هذه النتيجةُ يجبُ أن أحكي لكم ـ إن كنتم تجهلونَ ـ عمّا يجرى

10[10] يتضح من هذا بالطبع ماذا سيحدث لو تمّ تدريس ما يسمّى بالثقافة الجنسيّة لأطفالنا.. باختصار: سنضمن أنّ نسبة ١٠٠% من أطفالنا سيواجهون أعراض المراهقة المبكّرة، نظرا لاستعار فضولهم، ممّا سيجعل هذا الأمر محور حياتهم، في محاولة لمعرفة كلّ خباياه ثمّ تجربته!!.. إنّ هذا سيكون تدميرا تامّا لما بقي في هذا البلد من أخلاق وقيم وشخصيّات سويّة.. وانظروا لمجتمعات الغربيّة التي تمّ تدريس الجنس بها، وما يشيع فيها من إباحيّة وزنا واغتصاب وشذوذ إدمان وجريمة وأمراض نفسيّة وانتحار!!!!!

وسْطَ الأطفالِ في المرحلةِ الابتدائيّةِ من التعليم، وسأبدأُ هنا بما رأيتُه بنفسي:

١- كنّا نتحدّثُ في الجنسِ من الصفِّ الأوّلِ الابتدائي!!
٢- منذ الصفِّ الثاني الابتدائيّ كانَ لكلٍّ منا فتاةٌ يُحبّها!!
٣- في الصفِّ الثالثِ الابتدائيّ، قامَ أحدُ الأطفالِ بتقبيلِ زميلةٍ لنا على حينِ غرّةٍ منها.. وفي الفصل!!
٤- منذ الصفِّ الثالثِ الابتدائيِّ وعددٌ لا يُستهانُ به من الطلبةِ يدّعونَ أنّهم يزنون!
٥- أحيانًا كان يتمُّ ضبطُ طفلينِ يحاولانِ ممارسةَ الشذوذِ الجنسيّ!!
٦- عددٌ لا يستهانُ به من الطفلاتِ، كنَّ سيئاتِ السمعة، وتُحاكُ حولَهنَّ الأساطير!!
٧- المتمرسونَ في الصياعةِ كانوا يحاولونَ التدخين.
٨- غالبيةُ أحاديثِنا كانت تدورُ حولَ الحبِّ والجنسِ والنكاتِ الجنسيّة، وكنا نتناقلُ آخرَ أخبارِ القبلاتِ والأحضانِ والراقصاتِ وما انكشفَ وما استتر، مما نراه في التلفاز!!

و غيرُ ذلكَ الكثير.

قد تقولُ إنّها حالةٌ فردية، أو أنّني كنتُ في وسطٍ منحلّ، ولكنّي أؤكدُ لك أنّها ليست كذلك، فبخلافِ أنّي نشأتُ في قريةٍ .والقرى أكثرُ هدوءًا وتماسكًا أسريًّا من المدينة .وكنتُ من الطلابِ المتفوّقينَ دراسيًّا، وكنتُ أحفظُ أجزاءً من القرآنِ الكريم في طفولتي، فقد رأيتُ مثلَ هذا الانحلالِ ينطبقُ على غالبيةِ من أعرفُهم ممن تربّوا جيّدًا، فمجرّدُ وجودِ تلميذٍ فاسدٍ في بيئةِ المدرسةِ كفيلٌ بإفسادِ كلِّ من يحتكُّ به، وبهذا يتحوّلُ جوُّ المدرسةِ إلى بيئةٍ لـ "تصبيعِ" من لم يتكفّلِ التلفازُ والشارعُ معه بذلك!!

والمشكلةُ أنّه ليس تلميذًا واحدًا.. إنّهم كلُّ أولئك الذينَ انشغلَ عنهم

آباؤهم وأمهاتُهم بجمعِ المال، وتركوهم للتلفازِ والشارعِ والمدرسةِ لتحدّدَ لهم قيمَهم.

ليس هذا فحسب، فالأمرُ يمتدُّ ليشملَ المدرسين، الذينَ يُمثّلونَ كلَّ شرائحِ المجتمع، والقليلُ منهم فاضلٌ، والكثيرون جهلةٌ ينقلونَ ما يجدونَه في الكتبِ كما هو .إن استطاعوا أن ينقلوه .أو غيرُ أسوياء مضطربونَ نفسيًّا يضربونَ التلاميذَ ضربًا غيرَ آدميّ، أو منحطّونَ أخلاقيًا يردّدونَ الألفاظَ النابيةَ أو النكاتِ البذيئةَ في الفصل، أو منعدمو الضميرِ يستخدمونَ كلَّ الوسائلِ لاجتذابِ التلاميذِ للدروسِ الخصوصيّة!!

هذا بخلافِ ما ذكرناه سابقًا، أنَّ منهم .وإن كانوا قلّة، ولكنّها موجودة . من يتحرّشُ بتلميذاتِه جنسيًّا، على الأقلِ عن طريقِ الملامساتِ غيرِ البريئة!!

حتّى شبهُ الأسوياءِ منهم، يلقّنُ التلاميذَ الإجابةَ في الامتحان، من أجلِ أن تخرجَ نتيجةَ فصلِه مرتفعة، فيُنسبُ له الاجتهاد!![11][11]

وبالطبعِ فإنَّ الصالحَ والطالحَ من هؤلاءِ المدرسينَ، ينظرُ إليهمُ الأطفالُ على أنّهم قدوة!

هذا هو مجتمعُ المدرسة، الذي هو بيئةٌ خصبةٌ لتخريجِ المنحطّينَ والفاسدينَ والمجرمين.. غنيٌّ عن الذكرِ أنَّ كثيرًا ممن كانوا معي بالمرحلةِ الابتدائيّةِ مجرمونَ الآنَ بالفعل.. رسميًّا![12][12]

---

[11][11] أذكرُ مرّةً أن مدرّسًا جعلني أقفُ في لجنةِ الامتحان في إحدى سنواتِ المرحلةِ الابتدائيّة، لأقرأَ لزملائي إجابتي عن أحدِ أسئلةِ الحساب!!

[12][12] ملاحظتان:

١- **يجبُ أن ألفتَ نظركَ أنّني كنتُ في المرحلةِ الابتدائيّةِ من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٩، ولم يكنْ الدش قد ظهرَ على الساحةِ بعد، ولا انتشرَ الحاسبُ الآلي ولا الإنترنت، ولم يكن منسوبُ الإباحيّةِ في التلفازِ والسينما قد وصلَ إلى ما وصلَ إليه الآن.. على سبيلِ المثالِ لم تكنِ الراقصاتُ من أبطالِ المسلسلات، ولم يكن مهرجانُ القاهرةِ السينمائيُّ الدوليُّ يعرضُ أفلامًا عارية وشاذّة!!**

لهذا فأنا عاجزٌ تمامًا عن تخيّل مدى التردّي الذي وصل إليه وضعُ الأطفال في هذه الأيام!!

- تطوّرُ الغريزة المنحرفة:

- تمثّلُ الشهوةُ الجسديّةُ غريزةً أساسيّةً في مرحلةِ البلوغ.

- تنزعُ هذه الغريزةُ إلى محاولةِ الحصولِ على الإشباعِ برضاءِ الطرفِ الآخر.

- يؤدّي الابتذالُ الإعلاميُّ والفكريّ، والإلحاحُ المستمرُّ في عرضِ المشاهدِ والكتاباتِ والأفكارِ الإباحيّةِ، إلى الملل الجنسي الذي قد يدفعُ إلى:

1. **محاولةِ الحصولِ على الإشباعِ رغمًا عن الطرفِ الآخر.. ولعلَّ هذا يُفسّرُ ارتفاعَ نسبةِ جرائمِ الاغتصابِ في الغربِ، رغمَ الإباحيّةِ الفاحشةِ هناك.**
2. **اللجوءِ إلى الأوضاعِ الشاذّةِ والمنفّرة.**
3. **النفورِ من الأنثى، والاستمتاعِ بالمتعلّقاتِ الأنثويّةِ بدلا منها، كارتداءِ الملابسِ الداخليّةِ أو الجواربِ أو الأحذيةِ الأنثويّة.. إلخ.**
4. **الجنسيةِ المثليّة، كأن يميلَ الرجلُ للرجلِ والمرأةُ للمرأة.**
5. **ارتباطِ الجنسِ بالجريمة، حيثُ لا يحصلُ مثلُ هؤلاءِ المنحرفينَ على الإشباعِ بدونِ اغتصابِ النساءِ وتعذيبِهنّ ثمّ قتلِهن.. وهذا النوعُ من السفّاحينَ منتشرٌ بوفرةٍ في الغرب.**

وعلى هذا فأنا أقترحُ على الأكاديميّينَ من الباحثينَ أنت يُجروا دراساتٍ ميدانيّةً وإحصائيّةً ليخبرونا بالضبطِ كيف تنشأُ أجيالنا الجديدة.. الضائعة!

٢- **هذه هي ضريبةُ المجانيّةِ المزعومةِ في التعليم، والمساواةِ اللعينةِ التي فرضتها علينا الاشتراكية، حيثُ "يتساوى" في مدارسِ الحكومةِ من تربّوا في بيوتِهم جيّدًا، مع من لم يلقوا الرعايةَ والرقابةَ الكافيةَ في بيوتِهم، وبهذا يختلطُ الصالحُ بالطالحِ ويفسدُ الجميع!!.. إنّني من أشدِّ أنصارِ خصخصةِ التعليم، ليسَ فقط لأنَّ مدارسَ الحكومةِ مزدحمةٌ وضعيفةٌ الإمكانيّات، ولا لأنَّ مدرسيها ضعيفوا المستوى، ومن يُعاقبُ منهم يتمُّ نقلُه لمدارسَ منكوبةٍ أخرى.. ولكن لأنَّ المستوى الماديَّ يحدّدُ الشريحةَ الاجتماعيّةَ التي ينتمي إليها التلميذ، وبالتالي يحدّدُ درجةَ الرعايةِ التي يلقاها بالبيت.. فإذا ما ابتعدنا عن الطبقتينِ الفقيرةِ والمرفّهة، فإنَّ هناكَ أملا أن يكونَ أبناءُ الطبقةِ المتوسّطةِ على درجةٍ معقولةٍ من التربية!**

- هذه الانحرافاتُ يصاحبُها خواءٌ روحيٌّ تامّ، مع شعورٍ بانعدامِ الهدفِ والمللِ من كلِّ شيء.. لعلّ هذا يفسّرُ لك ارتفاعَ نسبةِ الجنونِ والانتحارِ في الغرب.
- وبالطبعِ هذه الانحرافاتُ لا تكونُ منعزلةً عن إدمانِ الخمورِ والمخدّراتِ والإجرام.. والإيدز.
- إذا كانت هذه النسبُ مرتفعةً في الغرب، فإنّ استمرارَنا في تقليدِ كلِّ ما هو فاسدٌ ورديءٌ عندَ الغربِ، سيعملُ على انتشارِ مثلِ هذه الآفاتِ عندَنا، وربّما بصورةٍ أبشع، نظرًا لغيابِ الديمقراطيّةِ التي تسمحُ للمجتمعِ بالعملِ على تداركِ الخطأ، ولغيابِ العلمِ والمعرفةِ والثقافة، ولانتشارِ العشوائيّةِ في كلِّ شيء، ولسيطرةِ ثلّةٍ من المنحرفينَ على المنابرِ الإعلاميّةِ والثقافيّةِ في البلد.

والنتيجةُ ...:

إنّ تخريبَ نفوسَ الأطفالِ وطمسَ براءتَهم، وإضاعةَ عمرِ الشبابِ وقوّتِه وعقلِه وضميرِه، يؤدّي لانهيارِ المجتمع:
- ليسَ فقط لانهيارِ الأخلاقِ وانتشارِ الجرائمِ وتفشّي أسبابِ التعاسةِ في كلِّ أسرة (بسببِ انحرافِ ابنٍ أو أكثر، أو نشوبِ الخلافاتِ الزوجيةِ نتيجةً لسوءِ الاختيارِ منذُ البداية، أو بسببِ وقوعِ أحدِ أفرادِ الأسرةِ ضحيةً لجريمةٍ من الجرائمِ التي تتزايدُ نسبتُها يومًا بعدَ يوم، لا سيّما الاغتصاب!).
- ولكن أيضًا لأنَّ إهدارَ فترةِ الإعدادِ الرئيسيّةِ في حياةِ الشبابِ، يُنتجُ أجيالا خاوية، بعيدةً كلَّ البعدِ عن الاجتهادِ والمثابرةِ والعملِ والتفكيرِ والابتكار.
- أجيالا يصيبُها بريقُ الشهرةِ بالجنون، بحيثُ ينحصرُ مبتغى أملِ كلِّ فردٍ منها في أن يُصبحَ لاعبًا، أو مغنّيًا أو مغنيةً، أو ممثلا أو ممثلةً، أو راقصة،

بينما يقلُّ الصفوةُ بالتدريجِ، وينزوي العباقرةُ والمبدعونَ والمفكّرونَ ويقتلُهم الإحباطُ وسْطَ جموعِ الجهلاءِ والغوغاء.

- الأخطرُ من هذا، أنَّ تزايدَ نسبةِ هذه الحثالةِ في المجتمع، يُنتجُ أجيالا منحرفةً من أنصافِ المتعلّمينَ وأنصافِ المتخصّصين، وأنصافِ المثقفين وأنصافِ المفكرينَ وأنصافِ المبدعين، يرونَ الصوابَ خطأً ويُروّجونَ له، ويلجئونَ للأدبِ والفنِّ الهابطينِ لإثارةِ الغرائزِ وبالتالي نيلِ رضا الغالبيةِ الفاسدةِ، وإرضاءِ المسئولينَ عن النشرِ، وجنيِ المال، وهم في كلِّ الأحوالِ يعتمدونَ في أعمالِهم على شعارٍ زائفٍ يُسمّى الواقعيّة، يقتصرُ فقطِ على نقلِ الجانبِ الفاسدِ من المجتمعِ والتركيزِ عليهِ دونَ الجوانبِ الإيجابيّة، وبالتالي يعملُ على تكريسِهِ وترسيخِهِ في أذهانِ الأجيالِ الجديدة، وبالتالي يحدثُ عكسَ ما يدّعونَه، فكلما (عالجوا) مظاهرِ الفسادِ بمثلِ ذلكَ (الصدقِ) وتلكَ (الموضوعيّة)، كلّما ازدادتْ مظاهرُ الفسادِ وازدادَ انحرافُ الأجيال!!![13]

- كما أنَّ تخديرَ الضمائرِ المستمرَّ يُنتجُ أجيالا همُّها الأوّلُ هو مصالحُها الشخصيّةُ لإشباعِ شهواتِها، تهدفُ إلى الكسبِ السريعِ وقطعًا بطرقٍ غيرِ مشروعة، كالوساطةِ والمحسوبيّةِ وسوءِ استغلالِ المنصب، والغشِّ والنصبِ، والسرقةِ والرشوةِ والاختلاس.. إلخ.

- أجيالا فاقدةَ الانتماء، تجهلُ هدفَ وجودِها، وحقيقةَ ما يدورُ من حولِها، والتحدّياتِ التي تُواجهُ مجتمعَها، وبالتالي تتمتّعُ بقدرٍ هائلٍ من السلبيّةِ، تشملُ الصالحَ منهم والطالح، مما يعملُ على تفاقُمِ مشاكلِ المجتمع، وانتشارِ الأخطاءِ والفساد.

- و النتيجةُ الحتميّةُ لكلِّ هذا هي انهيارُ الاقتصادِ وتخلّفُ المجتمع.

---

[13] لمزيد من التفاصيل، اقرإ المقالَ المعنونَ بـ: رصد بعض الظواهر الأدبيّة والفنّية.

- أمّا الذي أخشى أن أتخيّلَه، فهو هيئةُ مثلِ هذه الأجيالِ لو دخلنا في حربٍ ما (و العدوُّ ملاصقٌ لنا بالفعلِ، ليس عنّا ببعيد)!

حكاية حزينة[1]14

(كيف وصلنا لهذه الدرجة من الهوان)

دعوني يا إخوتي في الله أحكى لكم حكاية نبيلة وحزينة..
رائعة وحزينة..
كنا هملا في التاريخ بعد أن بادت حضاراتنا، فأكرمنا الله بالإسلام فإذا نحن خير أمة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر..
برسالة الإسلام بلغت البشرية نضجها.. انتقلت من التجسيد والتحريف إلى التجريد والإيمان.. تلك القمة السامية التي منحنها الله وفضّلنا بها على العالمين.. فعندما يؤمن الواحد منا بالله يرى كل شيء من خلاله.. الحياة والممات والنسك.. لا يصبح ما لقيصر لقيصر، بل لله السماوات والأرض وما بينها.. لا يصبح الدين لله والوطن للجميع.. بل لله الأمر كله.
أصبح التوحيد هو درجة الإيمان التي انعقد عليها القلب..
إيمان يعبر عنه هذا الاعتقاد الراسخ:
"إني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة، وقال لي قائل: لا بل الثلاثة أكثر، بدليل أنني سأقلب هذه العصا ثعبانا، وقلبها، وشاهدت ذلك منه، لم أشكّ بسببه في معرفتي، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه، فأما الشكّ فيما علمته: فلا.. ثم علمت: أن كلّ ما لا أعلمه على هذا الوجه، ولا أتيقّنه هذا النوع من اليقين، فهو علم لا ثقة به، ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه، فليس بعلم يقيني".

---

[1]14 مجتزئ من الملفّ الكامل لوليمة لأعشاب البحر للدكتور (محمد عباس).. تجد الملفّ كاملا في مجلد مراجع هذا الكتاب، أو على الرابط التالي:

http://www.saaid.net/mktarat/almani/19.htm

بهذا الإيمان.. عندما واجه المسلمون أقوى قوة في ذلك الزمن.. عندما اصطدم الجيش الإسلامي في غزوة مؤتة بالجيش الروماني.. ثلاثة آلافٍ مقابل نيّف ومائتي ألف.. وكان ذلك عام ٨ هجرية.. بعدها بخمسة أعوام فقط.. كان الجيش الإسلامي يحارب على جبهتين أقوى إمبراطوريتين في العالم في نفس الوقت، فقضى على الفرس قضاء تاما، أما الرومان فقد هزمهم في موقعة اليرموك هزيمة فادحة، وانسحب "قيصر" قائلا كلمته التي احتفظ بها التاريخ: "عليك يا سوريا السلام.. سلام لا لقاء بعده".

ولنتذكر أن المسلمين لم يكونوا قط - لا في هذه المعارك ولا في جميع المعارك التي انتصروا فيها بعد ذلك - أكثر عتادا أو أشد قوة.. لم ينتصروا بالعتاد ولا بالقوة، بل بما وقر في قلوبهم.

لقد كان أعداؤهم أكثر تقدما منهم بما لا يقاس.. ولقد نقلوا عن أعدائهم سرّ قوتهم.. نقلوا عنهم التكنولوجيا.. لكنهم لم ينقلوا عنهم الانحلال والشرك.. ولم يفقدوا إحساسهم لحظة أنهم الأرقى والأسمى.. أنهم الأعلون.. عكس ما نفعله نحن الآن تماما!!

في (حطين) كان عدد جيش (صلاح الدين) اثنتي عشر ألفا.. وبعد الإمدادات والأعراب وصل عدد الجيش إلى ٢٤ ألفا.. وكان عدد الصليبيين أكثر من ستين ألفا، وكانوا أيضا أكثر عتادا وأشد تقدّما وقوّة.. وانتصر المسلمون انتصارهم الساحق.. نفس الأمر في (عين جالوت).

لم تغفر الحضارة الغربية الصليبية ذلك للإسلام أبدا.. لم يتركونا في حالنا أبدا.. لكن (لويس التاسع) عندما انهزم وأسر في مصر.. اكتشف بعد الإفراج عنه - كما يحدثنا الدكتور (محمد الغتيت) - أن هذه الأمة لن تهزم أبدا بالمواجهة المباشرة.. وظل (لويس التاسع) أربعة أعوام يضع خطته لمواجهة المسلمين عبر التاريخ، بعد أن أدرك أن المعركة ستتواصل جيلا بعد جيل.. اكتشف الرجل - وكان على صواب - أن المسلمين ينتصرون بإيمانهم.. برسوخ عقيدة الجهاد فيهم.. بإدراكهم أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة.. بإيمانهم أن ما عند الله خير وأبقى.. بيقينهم أن الهزيمة كلمة لا توجد في قواميسهم، وإنما إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة (انظروا ما فعله أربعة آلاف من المسلمين الشيشان في ثاني أكبر قوة في العالم)..أدرك (لويس التاسع) أنه لا يمكن مواجهة هذه الأمة إلا بتفريغ دينها من مضمونه ومحتواه..

إنني مضطر للإيجاز المخل.. لكن من عهد (لويس) هذا بدأت ثلاثة حركات متصلة أشد ما يكون التواصل كأضلاع مثلث جهنمي.. كل منها مهّدت للأخرى وشدّت من أزرها وساعدتها.. تلك الحركات هي: الاستشراق.. والتبشير.. والاستعمار.

بعد فشل حملة (لويس التاسع)، ولمدة قرنين، كان الغرب الصليبي يستجمع قوته ويتهيأ للانقضاض.

وكنا نحن المسلمين قد فقدنا قوة اندفاعنا الحضارية في مواجهة الغرب الصليبي والتتار (والحملتان كان يحركهما نفس الهدف للقضاء على الإسلام، لكن كتب التاريخ تخفى عنا ما هو ثابت بالوثائق من تآمرهما المشترك للقضاء على الإسلام).

كنا مثخنين بالجراح، بعد أن أعطينا العالم أنبل حضارة في التاريخ، وبعد أن خضنا كل بحار العلوم..

ومع انتفاضة أوربا وهزيمة المسلمين في الأندلس، ابتدأت موجة عاتية كادت تبيد المسلمين جميعا كما أبيد الهنود الحمر.. وكان ميناء جدة قد حوصر تمهيدا لهدم الكعبة والاستيلاء على رفات الرسول ﷺ، لولا أن قيض الله دولة إسلامية هي الدولة العثمانية لوقف سرعة انهيارنا.. أجّلت الدولة العثمانية انهيارنا ثلاثة قرون.. أجلت شِقّ الاستعمار ثلاثة قرون، لكن التبشير والاستشراق كانا يؤتيان أكلهما..

كنا ننهزم من داخلنا.. وكنا نقرأ تاريخنا بعيون المستشرقين.. كنا نُستلب.. نفقد منهج ديننا شيئا فشيئا.. كنا نُروض كالعبيد.. مسخوا ديننا وشوهوه.. تركوا القشرة الخارجية واستلبوا القلب والعقل والضمير.

إن الكارثة أبعد من خيانة حاكم أو خطأ زعيم.. يقول الكاتب - العلمانى وليس الإسلامى! - الكبير (جلال أمين)، إن الحكام العرب يخونون قضية أمتهم منذ خمسة قرون.. قلت لنفسي إن الأمر أبعد مما ذهب إليه (جلال أمين).. لم يكن الحكام العرب وحدهم.. بل جلّ حكام المسلمين!

وليت الأمر اقتصر على هذا وإلا لأمكن للأمة أن تعالجه.. كان بعض نخبة الأمة قد أصيب.. أصبحت عَبَدَةً لمفاهيم المستشرقين.. وكان الغرب يشجع بل ويتآمر كي يضع تلك النخبة الخائنة في الصدارة، لكي تتولى مقاليد الأمور.

ولم تكن المشكلة هي موقفنا من الغرب، كما يقول الدكتور (محمد عمارة): "ليست القضية هي موقفنا من الغرب.. وإنما القضية هي موقف الغرب منا.. مشكلتنا ليست مع الإنسان الغربيّ ولا مع العلم الغربيّ ولا مع الحضارة الغربية.. وإنما مع المشروع الغربيّ عندما يريد إلغاء مشروعنا الحضاريّ المتميز والخاص".

في القرن التاسع والقرن العشرين.. حين أكمل الغرب حركتي التبشير والاستشراق بالاحتلال المباشر.. حين استطاع بقوة الدبّابة والمدفع، أن يغير النخبة القائدة في كل بلد إسلامي..

قرّبَ الخونة وأعدم الأبطال.. ونحّى منهج الإسلام تماما.. ثم راحوا ينشرون من أكاذيبهم وضلالاتهم ما ينزع الإسلام من قلوبنا ويبغّضه إلى عقولنا.

لقد أدركت الأمّة منذ زمان طويل، أن هذه السلطة تعيّن بعض حكّامنا كوكلاء لها.. لكننا غفلنا أنهم لا يكتفون بالحكام.. فهم الذين يعيّنون كبار الكتاب أيضا!

لم يكن الاستعمار يعبث عندما احتل بلادنا، وعندما تركنا لم يتركنا لأنه سئمنا، أو لأننا أصبحنا فجأة أقوى منه.. لقد ربى نخبة كاملة.. طبقة كاملة في المجتمع، هي الطبقة الحاكمة.. منها الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ورؤساء التحرير وكبار الكتاب بل وكبار التجار ورجال الصناعة، فلا يكاد يُتداول الأمر خارجهم.. وفى مختلف بلادنا فإن هذه النخب ليست معزولة عن بعضها البعض، بل وثيقة الاتصال.

وتوطد الغزو الثقافي، بديلا أقل تكلفة من الغزو العسكري!!

يعرّف الدكتور (عبد الله التركي) الغزو الثقافي بأنه:

"كل فكرة أو معلومة أو برنامج أو منهج، يستهدف صراحة أو ضمنا، تحطيم مقومات الأمة الإسلامية: العقيديّة والفكرية والثقافية والحضارية، أو يتحرى التشكيك فيها، والحطّ من قيمتها، وتفضيل غيرها عليها، وإحلال سواها محلها، في الدستور أو مناهج التعليم، أو برامج الإعلام والتثقيف، أو الأدب والفن، أو النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة".

وربما أريد أن أرجح رأى (الدكتور أحمد عبد الرحمن)، أن ما يحدث "ليس مجرد غزو ثقافي، بل هو إحلال ثقافي، يرمى إلى إحلال الثقافة الغربية مكان ثقافتنا الأصلية بالكامل".

وكانت أضلاع مثلث الشيطان الثاني هي: الثقافة والإعلام والتعليم.

وعن التعليم، ثمة عشرات الكتب ومئات الأبحاث المحاصرة التي تفضح المؤامرة..

وعن الإعلام، يكفى أن نستشهد بتلك الكلمة الدامية، التي خطّها يراع شيخ القضاة في مصر المستشار (يحيى الرفاعي) إذ يقول:

"لا يسمح السلطان لرعاياه بمجرد وجود إنسان غيره، فهو النجم الأوحد، والعادل الأوحد، والعالم الأوحد، العارف بالسياسة وبالاقتصاد، وبالقانون، وهواه هو قانون الأمة".

ومن أجل هذا السلطان، لا مانع من هدم بنيان الأمة كلها ليستقر عرشه، على كوم من الجماجم وجبال من الفشل وطوفان من الهلاك..

وعن الثقافة، يكفى ما كشفته أزمة "وليمة لأعشاب البحر" وتداعياتها.. حين أصبح الاجتراء على الله تنويرا والهجوم على عبد الناصر ردة!!

إن إعلامنا وتعليمنا وسياستنا مكرسة كلّها ضد الإسلام ولصالح حضارة الغرب.

ولم يكن للإسلام أن يستسلم.. أبدا لم يكن له ذلك..
حاول بعض أبنائه الجهاد في سبيل الله.. أخطأوا وأصابوا.. لكنهم كانوا إلى الصواب أقرب.
وإنني لا أملك حتى في الخطاة فيهم، إلا قول الإمام (على) كرم الله وجهه، من أنهـم قـوم طلبوا الحق فأخطأوه.. أمّا النخب الحاكمة في جلّ عالمنا الإسلامي، فقـوم طلبـوا الباطـل فأصابوه!!
ماذا فعلت السلطة ـ التي لم تنشأ إلا بالاستعمار ـ في الاتجاه الإسلامي؟..
نصبت المشانق.. زورت الانتخابات.. أوصدت كل الأبواب.
ولقد تصرفت أجهزة الأمن في جل عالمنا الإسلامي، كما لو كانت فرقا بقيت مـن جيـوش الصليبيين لتستأصل ما بقى من شأفة الإسلام!!
لقد بلعنا الطعم..
هم يخافون الإسلام وعلّمونا أن نخاف نحن أيضا منه..
وهم منطقيون في خوفهم من الإسلام.. فهو الحضارة الأرقى، وهو القادر على كبح جماحهم كما فعل لألف عام.
بلعنا الطعم.. روّجنا لما يقولون.. وهاهم أولئك الآن يبيدون في الشيشان أمة كاملة بتهمـة الإرهاب.. وغدا سوف يحدث معنا نفس الأمر [كتب (محمـد عبـاس) ذلـك قبـل احـتلال أفغانستان والعراق]..
ذلك أن الإسلام عندهم هو الإرهاب.. وكان علينا أن نحاربهم على ذلك، لا أن نقرّهم عليـه ونتحالف معهم فيه.. ضدنا!!
لقد كانت خطة الغرب أن تقف الدولة ضد الأمة..
ولقد نجحوا!!
يقول (صمويل زويمر) في محاضرة للمبشرين، في القدس عام ١٩٣٥: "إن مهمة التبـشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليـست لإدخـال المـسلمين فـي المسيحية، فإن في هذا هدايةً لهم وتكريما، إن مهمتكم أن تخرجوا المـسلم مـن الإسـلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبهذا تكونون قد أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، ويأتي النشء الإسلامي مطابقا لما يراه الاسـتعمار.. لا يهـتم بعظـائم الأمـور ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب".
اشهد يا رب علينا وعليهم، أن الأمر أسوأ حتى مما تخيله (زويمر)..

أجأر إليك يا رب بالشكوى: القائمون بعملية التبشير الآن بعض صحفنا وإذاعاتنا وتليفزيوننا وكتبنا المدرسية ومعظم كتّابنا وفنانينا وأحزابنا وهيئاتنا ومؤسساتنا.

نعم..

القائمون بعملية التبشير صبيان (زويمر) منا..

والقائمون على التعليم تلاميذ (دانلوب) منا..

والقائمون على عقاب من يتجاوز تعاليم صبيان (زويمر) أو ثقافة تلاميذ (دانلوب) ليسوا سوى بقايا جنود (كرومر) و(أرناط)!!

هل بهذا الهجوم الضاري تقضى أمّة، امتدت ذات يوم من الصين حتى الأندلس، وهى اليوم بعد أن فقدت أجنحتها وأطرافها تنزف من قلبها.. حتى لأخشى أن تتلاشى؟؟!!!

أمة تتعرض لأبشع عملية غسيل للمخ وتزييف للوعي في التاريخ..

عملية غسيل للمخ وتزييف للوعي لم يعد العدو هو الذي يقوم بها.. بل يقوم بها أمراء وملوك ورؤساء ووزراء وكتاب وصحفيون ومثقفون وشخصيات قائدة حاكمة منا وفينا!!

***

أخطئ يا عربي يا مسلم في تلاوة القرآن..

أنكر حديثا نبويا شريفا..

عارض شرعا أو فقها..

لا ضير..

سوف تكون مستنيرا ومتحضرا عندما تقدم على أي من ذلك..

اجترئ على الله، اسخر من القرآن، سبّ الرسول ﷺ، وسوف يقابلك الترحاب والتأييد الرسمي، وسوف تفتح لك سبل النشر والإعلام كلّ أبوابها.. لكن حاول أن تهاجم (سلامة موسى) أو (طه حسين) أو (قاسم أمين) أو (على عبد الرازق).. حاول ذلك ولا تلومنّ إلا نفسك، عندما تفتح أبواب الجحيم لك أبوابها..

أو حاول أن تعارض ما غرسه (كرومر)، لتنطلق كلاب جهنم تعوي عليك من كل صوب..

والرجل – للدهشة والأسى - لم يحاول إخفاء دخيلته.. فهو يعترف بالنصّ في تقرير عام ١٩٠٦: "إنى واثق من قوة (أوروبا)، واقتدارها عند الاقتضاء على تلافى هذه الحركة (الحركة الإسلامية) من الجهة المادية، وإن تكن غير قادرة على ذلك من الجهة الروحية".

لقد كان مذهلا لي، أن أكتشف أن معظم ما يردده دعاة التنوير الآن، مكتوب بنصّه في تقارير اللورد (كرومر) السنوية!!

يقول (أنور الجندي):

"في هذه التقارير، سجل (كرومر) الخطوط العامة لتهديم كل عوامل الإيمان الوطني والاعتزاز العربيّ الإسلاميّ.. وكان أوّل من ساق الأكذوبة الضخمة، التي تقول إن المصريين كانوا خاضعين أكثرَ زمانهم.. فقد حكمتهم دولة الفرس فاليونان فالرومان فعرب جزيرة العرب، وبغداد، فالجراكسة، فالترك".

هذا بالضبط ما كتبه اللورد (كرومر) عام ١٩٠٦، ومازال كبار مثقفينا الرسميين الذين تفرضهم حكوماتنا علينا يرددونه حتى اليوم.. متجاهلين أن صلة (مصر) بالعرب لم تكن صلة استعمار، وأن الرابطة بين العرب وبين الدولة العثمانية لم تكن رابطة احتلال.

لقد تحدّث (كرومر) أيضا على أن مصر ليست جزءا من أفريقيا ولا من الشرق، وكان يهدف إلى نزع (مصر) من دورها وجذورها.. وما يزال صبيته يردّدون هذا حتى اليوم.. إن الأفارقة متخلفون والعرب أجلاف وتركيا بلد احتلال فمال (مصر) وكل هذا؟؟؟!!!!

وليت نخبة مثقفينا - حتى بمفهومهم الغبي الخائن - فكروا ما هو الثمن الذي سنحصل عليه عندما نقطع جذورنا.. هل سنلتحق بأوروبا مثلا؟!

كان (كرومر) أيضا هو أول من هاجم الحكومة الإسلامية، ووصفها بأنها الحكومة الثيوقراطية.

والآن هكذا صارت الصورة:

أدعياء الثقافة والتزوير - لا التنوير - يتعاملون مع المراجع الدينية تعامل صهيوني أو صليبي أو مشرك جزم بأن الإسلام ليس دينا وإنما أكذوبة كبرى يجب أن يطهر الوطن منه!!

وينبثق السؤال:

هل هم مؤمنون حقا؟!

إن الأمر ليس تفتيشا في الضمائر ولا شقا عن القلوب.

نعم.. من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

لكن كيف يعقل أن يحدد الكافر للمؤمن حدود الإيمان وأن يفسر له القرآن؟!.. فليجهروا بالكفر، سنقبل ذلك منهم.. ليدعوا إلى كفرهم كما يشاءون في ساحة فكر حرة..

أما أن يقودوا أمة مسلمة فألف كلا.. ذلك أن قيادتهم لأمة مسلمة ليس خطيئة دينية فقط، بل جريمة أمن قومي ووطني..

تماما كما لو جئنا بليبرالي ليقود حزبا شيوعيا، أو بماركسي ليتزعم حزبا ليبراليا!!.. بل إن الأمر أشد وأخطر، فهو يشبه أن نأتي بصهيوني كي يقود جيشنا!!!!!!!!!!!!!!!!!!

إن تلك النخبة المثقفة المنحرفة - التي دستها السلطة بين صفوف الأمة، متظاهرة أحيانا بالمعارضة - تزلزل ديننا وعقيدتنا.. وهي تتظاهر بالمطالبة بحرية الفكر، وما كانت تقصد سوى حرية الكفر.. وبحرية الاعتقاد وما كانت تقصد إلا حرية الإلحاد.. وراحوا يكفرون بالله ويؤمنون بالغرب كما شاء لهم الشيطان..

إلا إنهم أدركوا، أنهم رغم كلّ محاولاتهم، لم يغيروا في الأمة سوى قشرة لن تصمد لأي محاولة للكشف.. لذلك سنّوا قانونا صارما ما أنزل الله به من سلطان.. إذ أنهم وهم يطالبون بحرية الاعتقاد - الذي لا يقصدون به في أمة مسلمة إلا حرية الخروج على الإسلام - سنّوا ذلك القانون الذي يحرّم على المسلمين اتهام الخارجين على الإسلام بالكفر!!.. وفي نفس الوقت تكفّلوا بالعطاء لأولئك الخارجين!!

تماما كما تحرم (أمريكا) علينا اتهام عملائها بأنهم عملاء.. وتماما كما تجزل لهم العطاء!!

أصبح الخروج على الإسلام مباحا..

وأصبح التكفير ممنوعا بإطلاق..

رغم أن كتاب الله - القرآن الكريم - هو أكثر كتاب في الدنيا يتحدث عن التكفير!!

***

أريد أن أنبه القراء إلى حقيقة حزينة شد ما ذهلت عندما عرفتها من كاتب عميق مرموق لكنه ليس شهيرا.. استدعته المباحث.. أخذوا يستعرضون معه بؤس حال الكتّاب وقلة دخلهم وصعوبة مجالات النشر وتجاهل وسائل الإعلام وعزوف القراء عن القراءة.. ثم فاجئوه بأنهم يملكون الحل السحري لكلّ هذا.. إنهم يطلبون منه أن يعرض أعماله عليهم وأن ينفّذ بعض ملاحظاتهم.. فإذا أثبت جدارته بالعلاقة الجديدة، فسوف يطلبون منه تأليف أعمال كاملة لحسابهم.. سوف يجعلون أكبر دور النشر تتسابق لنشر كتبه.. سوف يطبعون عشرين أو ثلاثين ألف نسخة بدلا من ثلاثة آلاف.. وسوف يحصل على عشرات الألوف بدلا من لا شيء.. وسوف تشيد كل وسائل الإعلام بكتاباته التي لن يكفّ كبار الكتاب عن مديحها.

وعندما ذهل الصديق واستنكر، إذا بهم في سبيل إقناعه يقولون له، إن كل المشاهير رجالهم.. وأنهم يتعاونون معهم بنفس الطريقة.. وقدّموا له من الأدلة والبراهين ما قضى على كل تكذيب عنده.. بل أطلعوه على مقالات تكتب في مكاتب الشرطة بأسماء كتاب

مشهورين.. ترسل في مظاريف مغلقة إلى هذه الصحيفة أو تلك المجلة.. لتنشر باسم الكاتب الكبير.. ليقرأها مع القراء!!
قال لي الصديق في يأس وأسى: حتى الفنانون وكتاب المسلسلات والمخرجون يتعاونون معهم بنفس الطريقة!!

وثن الموضوعية:
صك المستغربون لنا مصطلحات وأعطوها قيمة مطلقة.. فمن حقك مثلا تناول الدين والمقدسات بموضوعية، والموضوعية هنا تعنى نزع أي رؤى سابقة.. ولكنك إذا حاولت أن تتناول مصطلح "الموضوعية" نفسه بموضوعية، تُجابه على الفور بأقسى وأقصى هجوم، فالمصطلح في منظورهم كتلة صواب مطلق لا تقبل التجزئة!!
لقد رفضوا أن يحتل الدين هذه المرتبة التي منحوها لمصطلحهم، حتى إنني أحيانا أعرّف الموضوعية بسخرية قائلا: الموضوعية هي تناول أي موضوع دون استشهاد بآية من القرآن الكريم أو حديث نبوي شريف!!
المصطلح يحتاج إلى مواجهة.. فهو إن كان يصلح في العلوم الطبيعية والفيزياء، لا يصلح على الإطلاق في النظرة الشاملة الكلية.. وحتى في الفيزياء، فإن القوانين الفيزيائية التي تنطبق على الأجرام الصغرى ـ كالذرات ـ لا تنطبق على الأجرام الكبرى ـ كالمجرات..
لكنّ المستغربين يريدون أن تكون الموضوعية صنما مقدسا لا يُمس، وهو يعنى بالضرورة استبعاد كلّ ما لا يمكن تجربته، وبهذا يكون الغيب كلّه مُقصىً ومستبعدا من أي حساب.. الجزء الأكبر والأهم من الوجود يُستبعد.. فهل في ذلك أي موضوعية؟!
تستلزم الموضوعية أيضا الحياد، والحياد أسطورة لا يمكن تحقيقها، إلا بقدر ما يمكن أن تتشابه بصمات إصبعين!!
الإنسان موقف.. والموقف انحياز!!
والحياد ـ مثلا ـ بين الخير والشر، وبين الخطأ والصواب، وبين الإيمان والكفر، ليس موقفا موضوعيا ولا صحيحا.. ليس سوى نفاق!!
ترى.. هل أستطيع إكمال هذا المقال.. بموضوعية؟؟!!

سِفَاح ثقافي!!

في الغرب، يوجد للمسيحية مؤسسات مستقلة قادرة وفاعلة.. ثم إن توافر ديموقراطية حقيقية يجعل رأى الشعب فاعلا.. ثم إن الإنسان الغربي - المسيحي - يستطيع أن يفصل بين الحياتين دون تمزق، بأن يعطى ما لله لله وما لقيصر لقيصر.

في الإسلام لا يوجد هذا.. ليس هناك شيء لقيصر، فقيصر نفسه عبد لله لا طاعة له فيما عصى فيه الخالق.

ثم إن الإسلام لا يملك مؤسسة دينية مستقلة، لأنه نظرة شاملة للكون، تشمل الدولة والأمّة والدنيا والآخرة، ومحاولة معاملته كما يعامل الدين في الغرب يعنى إلغاءه عمليا.

وفى غياب الديموقراطية، يصبح الحاكم إلها!!

ومن الناحية الأخرى، فإن حضورا فاعلا وحقيقيا للإسلام، يعنى ردع مظالم الحكام، واستحالة التزوير وعدم الشرعية.

ولهذا اتفقت مصالح القطبين على ضرورة استبعاد الإسلام: الغرب.. وحكام بلاد المسلمين!!

المؤلم أن العالم الإسلامي يضيق بالفكر الإسلامي الذي تتسع له بلاد أخرى، لكن الإعجاز الإلهي يتجلى، في أن ينبري للدفاع عن الحضارة الإسلامية غير مسلمين يقيمون في بلاد الحضارة المنافسة، حيث لا تطولهم هناك أجهزة قمعنا.

يقول المفكر الأمريكى الكبير - الفلسطينى سابقا - (إدوارد سعيد):

"بالنسبة للغرب، انطوى فهمهم للإسلام على محاولة تحويل تنوّعه إلى جوهر وجدانى غير قابل للتطوّر، وقلب أصالته إلى نسخة منحطّة من الثقافة المسيحية، ومسخ شعوبه إلى كاريكاتيرات مثيرة للرعب.. ومثل أي سلعة ناجحة رائجة، كان الشرق المصنع ممنوعا من التبدّل.. وإذا حدث ودخل جزء من تاريخه في تناقض مع خصائص السلعة كما رسمها المستشرقون، فإن هذا الجزء سيُقمعُ ويُبطل ويُلغى".

ويصرخ (إدوارد سعيد):

"إن نظرة الغرب إلى الإسلام هي نتاج سفاح ثقافي مع الخطاب الغربي بمختلف ضروبه وصنوفه".

يقول (إدوارد سعيد) ذلك، بينما نخبنا المثقفة الطافية على سطح المجتمع - كما يطفو السمك الميت والبيض الفاسد - لها رأى آخر.. رأى تكشفه حتى دوريات الغرب الذي يدافعون عنه.. ففي صحيفة أخبار الأدب المصرية – وهى مجلة التنويريين رواد التغريب في مصر، ولا يتجاوز توزيعها ٧٠٠ عدد أسبوعيا - نشرت (مها عبد الرؤوف) مقالا

بعنوان: "المخابرات الأمريكية وزارة ثقافة العالم"، تستشهد فيه بكتاب الكاتبة البريطانية: (فرانسيس ستونر): "المخابرات الأمريكية والحرب الثقافية الباردة".. وفيه تكشف أن المخابرات الأمريكية قد خطّطت لكي تكون هي بنفسها وزارة ثقافة العالم، وقد اعتبروا هذا المخطط هو المشروع التالي بل والأهم من مشروع (مارشال) الشهير، وبهذا المشروع تمكّنت المخابرات الأمريكية من أن تجعل من نفسها وزارة ثقافة العالم، فأصبحت تفرض سطوتها على الأدب والفن والموسيقى والسينما.. ولقد مارست ذلك دون أن يشعر الرأي العام بشيء.. في نفس الوقت - بل وربما قبله - كانت المخابرات السوفيتية تقوم بنفس الدور.. وتقول الكاتبة الإنجليزية إن هناك الكثيرين من الشعراء والكتاب والفنانين والمؤرخين في أوروبا ما بعد الحرب العالمية قد استُعملوا كأسلحة سرّيّة للمخابرات الأمريكية.

فعلت الولايات المتحدة ذلك عن طريق مجلس الحرية الثقافية، وكان مقره الرئيسي في باريس، وكان يمول باعتمادات لا حدود لها.. وكانت مهمته الرئيسية هي التغريب والغزو الفكري.

وفي كتاب (آل شاتيلييه): "الغارة على العالم الإسلامي"، يصف كيف وضع العالم الغربي العالم الإسلامي داخل أسلاكه، حيث أحكم حصاره كي يحول دون تحرّك فعالياته الثقافية.

هيكل والإشعاع!!

تذكرت (محمد حسنين هيكل) أثناء الأحداث الفاجعة التي شهدتها إحدى قرى الدلتا في مصر.. حين عثر أحد الفلاحين البسطاء على ما ظنه كنزا فأخذه إلى بيته ليخفيه.. لم يفطن المسكين إلى أن ما ظنه كنزا، كان جسما مشعا قضى عليه وعلى بعض أفراد أسرته، وأصاب جيرانه وأهل قريته بأضرار فادحة، أسوأ ما فيها أنه لا يمكن في الوقت الحاضر تحديد مدى الخطر ولا متى سيحدث.

وتقاطرت القوافل الطبية من أعرق الجامعات بقيادة أساطين الطب في مصر، ليكشفوا عن سر ذلك الوباء الغريب الذي ألم بأهل القرية المنكوبة.. وقد عجزوا جميعا عن اكتشاف حقيقة المرض أو سببه، رغم مئات الأجهزة المعقّدة التي حملوها معهم.. عجزوا.. لأنه لم يكن بين هذه الأجهزة المعقّدة جهاز بسيط لقياس الإشعاع!!

وظل الأمر غامضا، حتى شكّ أحد شباب الأطباء في المرض، فطلب عداد (جيجر) الذي كشف حقيقة الكارثة على الفور.

تذكرت (محمد حسنين هيكل) آنذاك..

قلت لنفسي إنه ليس كالآخرين.. ففي فكره الموسوعيّ ومنطقه الصاب مجال للاتفاق والخلاف والحوار..

ليس كالآخرين الذين يشبهون أفاقا ينتحل صفة طبيب.. إنه يشبه أساطين الطب الذين ذهبوا بكل الأجهزة المعقدة بدون عداد (جيجر)، فكتبوا آلاف الصفحات وعشرات التقارير المشحونة بأحدث النظريات والقواعد العلمية، لكنهم لم يصلوا أبدا إلى الحقيقة..

فهمت ضمن ما فهمت.. كيف يضل عقل تحليلي كعقل (محمد حسنين هيكل) حين يتناول قضايا يكون الإسلام طرفا فيها.

ولقد كان افتقاد وسيلة القياس هذه سببا في أخطاء فادحة تعرض لها في تحليلاته التي تغطى مساحة كبيرة من الجرح العربي..

فلم يفطن أبدا – على سبيل المثال – أن أسباب فشل الحركة القومية الكبرى لـ (محمد على)، هي ذات أسباب فشل الحركة القومية الكبرى لـ (جمال عبد الناصر).. وهى أنهما في صدامهما مع الغرب، تعاملا معه بمنهج غربي.. فاستغلهما الغرب – بالرغم منهما – شر استغلال لتنفيذ مآربه!!!

ولقد قام (محمد على) بالدور الذي رسمه الغرب له..

فقد استخدم الجيش الذي صنعته له (فرنسا)، وقام بتدريبه (سليمان باشا الفرنساوي)، لا في محاولة الاستقلال عن الخلافة فحسب، بل في محاربة الخليفة نفسه!.. وقد كاد يتغلب على جيش الخليفة بالفعل، لولا تدخل (بريطانيا).. تظاهرا بالوقوف في صف الخليفة، وغيرة في الحقيقة من أن تستأثر (فرنسا) بالنفوذ في مصر!.. وفى الوقت نفسه لتخدم الهدف العام للصليبية بطريقة أخرى.. فقد أوقفت بريطانيا (محمد علي) عند حده في ظاهر الأمر، ومنعته من مهاجمة الخليفة، وفى الوقت ذاته ضمنت له الاستقلال الفعلي عن الخليفة، وكرّست أوّل شقّ عميق لفكرة الدولة الإسلامية المحوريّة.

سلّحته (أوروبا) كي يستنزف قوة الإسلام، وكي يكون كلّ الضحايا مسلمين.. هذا بينما تجمّعت أوربا الصليبية كلها لتحطيمه في معركة (نافارين)، لأنه نسى نفسه وتجرأ على مهاجمة دولة صليبية هي اليونان!

فقد كبّرته الصليبية وسلحته لمحاربة الإسلام فقط، فإذا فعل ذلك فله كل العون.. أما إذا هاجت أطماعه لحسابه الخاص، فمسّ أحد الصليبيين بسوء، فإنهم يتّحدون عليه لتحطيمه تحطيما كاملا إذا لزم الأمر.

نفس الشيء حدث مع (جمال عبد الناصر).. نفس الهزيمة وذات الانهيار.. ولا اعتبار١٥[2]!!
كانت الهزيمة في التجربتين حتما.. كما كانت حتما أيضا في كل الحركات الشبيهة في العالم العربي.. وهى ظواهر حلّل (هيكل) أسبابها كثيرا، لكنه لم يصل إلى تشخيص المرض أبدا.. لم يكن عنده عداد جيجر!!

الجماعات الوظيفية:
أبدع الدكتور (عبد الوهاب المسيري)، في وصف جماعات المتغرّبين، حيث سماها "الجماعات الوظيفية".. وهو مصطلح قام بوضعه:
"استنادًا إلى مصطلحات قريبة في علم الاجتماع، لوصف مجموعات بشرية تستجلبها المجتمعات الإنسانية من خارجها في معظم الأحيان، أو تجنّدها من بين أعضاء المجتمع أنفسهم، من بين الأقليات الإثنية أو الدينية، أو حتى من بعض القرى أو العائلات، ثم يوكل لهم وظائف شتى، لا يمكن لغالبية أعضاء المجتمع الاضطلاع بها لأسباب مختلفة، من بينها رغبة المجتمع في الحفاظ على تراحمه وقداسته.. ولذا يوكل لأعضاء الجماعات الوظيفية بعض الوظائف المشينة (الربا - البغاء)، أو المتميزة (القضاء - الترجمة - الطب)، التي تتطلب الحياد والتعاقدية.
كما أنه قد يوكل لأعضاء الجماعات الوظيفية الوظائف ذات الحساسية الخاصة، وذات الطابع الأمنيّ (حرس الملك - طبيبه - السفراء - الجواسيس).
لا نعني أن هذه عملية واعية يقوم بها أعضاء مجتمع ما، فهي في واقع الأمر عملية غير واعية، كما هو الحال مع معظم الظواهر الاجتماعية.. وكثيرًا ما تكون هذه العملية غير مفهومة لمن يقومون بها، سواء أكان المجتمع المضيف أم الجماعة الوظيفية.. بل إن هذه العملية الاجتماعية قد تتم رغم الرفض الواعي لها من قبَل المجتمع والجماعة!!
وكل ما نرمي إليه هنا، هو أن نشير مجرد إشارة إلى أن هذه عملية اجتماعية مركبة إلى أقصى حد، تتداخل فيها الأسباب بالنتائج، ونحاول فهم بعض جوانبها وتفسيرها قدر استطاعتنا.. ولكننا، لقصور لغتنا البشرية، نضطر إلى الإشارة إلى المجتمع وأعضائه، كما لو كان ذاتًا واعية ينجز عملياته بشكل واع.

15[2] راجع عنوان "امبراطوريّات الظلال" في مقال "التسلّط الأمريكيّ".

ويتوارث أعضاء الجماعة الوظيفية الخبرات في مجال تخصصهم الـوظيفي عبـر الأجيـال ويحتكرونها، بل يتوحّدون بها.. وفي نهاية الأمر يكتسـبون هُـويتَهم ورؤيتهم لأنفـسـهم منها، بحيث يتم تعريف الإنسان من خلال الوظيفة وحسب، لا من خلال إنـسانيته الكاملـة، فيصبح عضو الجماعة الوظيفية إنسانًا ذا بُعد واحد، يمكن اختزال إنسانيته إلى هذا البُعد أو المبدأ الواحد، وهو وظيفته.

ويمكن القول بأن القطاعات العسكرية في كثير من دول العالم الثالث، يُعاد إنتاجها على هيئة جماعات وظيفية، جُند أعضاؤها من داخل المجتمع.. ويتم عزل هذه الجماعات عن طريـق المزايا والرموز المختلفة، بل يتم أحيانًا عزل هذه الجماعات داخل أحيـاء سـكنية متميـزة تتمتع بعدد من الخدمات، وقد تُخصص مستشفيات ومدارس مقصورة على أعضائها وعلـى أولادهم.

وبعد إنجاز عملية العزل، يصبح للقطاع العسكري وقيادته "مصالح" مختلفـة عـن مـصالح المجتمع، ومن ثَم يكون بوسع هذه الجماعات أن تنظر لهذا القطاع بشكل محايـد، ويكـون بوسع القوى الأجنبية أو النخب الحاكمة أن تُوظف هذه الجماعات لصالحها.. كما يمكن لهذه الجماعات أن تسيطر على المجتمع وتديره لصالحها، وتصبح مثل المرتزقـة والمتعاقـدين الغرباء، رغم أن خطابها السياسي قد يكون قوميًا وثوريًا واشتراكيا".

ويواصل الدكتور (المسيري) تطبيق نظريته الفذة على قطاع المثقفـين، فيقـرر أن بعـض قطاعات النخب الحاكمة والمثقفين في العالم الثالث، قد تتحوّل إلى جماعات وظيفية (عميلة)، تعمل لصالح الإمبريالية أو النظام العالمي الإمبريالي الجديد.. فهؤلاء يمكن استيعابهم مـن خلال الشبكة الاقتصادية والثقافية الضخمة (شركات متعددة الجنسيات - مؤسسات بحوث - مؤتمرات علمية - مشاريع بحثية مشتركة... إلخ).. وهذه القطاعـات يـتم عزلهـا عـن مجتمعاتها بحيث تصبح غريبة، فتكون داخلها ولكنها ليست منها.

ويمكن أن تكون العزلة فعلية، كأن يعيش أعضاء هذه القطاعات في منـازل توجـد علـى أطراف المدينة، أو في أحياء خاصة ذات طُرُز معمارية معينة (عادةً غربيـة)، أو يرتـدون أزياء غربية ويتحدثون بالإنجليزية أو العربية المطعمة بالإنجليزية.

كما أن شبكة المصالح العالمية تستوعبهم، فتصبح مصالحهم الاقتـصادية مرتبطـة بالآلـة العالمية وباستمرارها، وباستمرار مؤسساتها الثقافية.

ولكن العزلة يمكن أن تتم بشكل أكثر تبلورًا وتركيبا، فتأخذ طابعًا نفسيا.. فـيحس المثقـف بالعزلة عن مجتمعه، وبعدم التجذّر فيه وبالغربة عنه، ويحس عضو النخبة السياسية بعـدم

الانتماء لبلاده، كما أنهما ينظران إلى أهليهما نظرة دونية، حيث يشعران بتخلّف المجتمع الذي يعيشان فيه، وبحاجته إليهما (مركب الشعب المختار).. كما أنهما يمارسان هذا الشعور عادةً، بسبب إيمانهما بأيديولوجيا تُجسد نماذج معرفية وأخلاقية مستوردة متحيزة ضد واقعهما.. ورغم أنهما قد يتحدثان بلغة بلادهما، إلا إن خطابهما السياسي يبدأ في التحول التدريجي، حتى لا يفهمه سواهما، ويصبح أداة للعزلة عن الجماهير لا للتواصل معها.

ولا شك في أن أعضاء هذه الجماعة يتّسمون بحركية شديدة.. كل هذا يجعلهم كيانات مجردة، وأدوات قمع في نظر مجتمعاتهم.. تمامًا كما أنهم لا ينظرون إلى مجتمعاتهم باعتبارها كيانات حيّة ينتمون إليها!

فهم ينظرون إلى الفلاح الذي يرتدي جلبابه - مثلا - باعتباره عبئًا لابد من التخلص منه، ومشكلة تحتاج للحل!!

وهؤلاء المثقفون يشبهون في كثير من الأحيان يهود البلاط، الذين كانوا يشكلون جماعة وظيفية تقف بين عالمين (عالم اليهود وعالم الأغيار).. جماعة تتعامل مع كليهما بكفاءة، دون أن تنتمي لأي منهما.

ولذا، فإن أعضاء هذه الجماعة يعيشون في عدم طمأنينة، يحاولون إرضاء أسيادهم قدر استطاعتهم عن طريق الخضوع لقوانينهم، ولكنهم في الوقت نفسه لا يمكنهم الانضمام لـه تماما، لأن وظيفتهم تتطلب منهم أن يطوّروا مجتمعاتهم، حتى يمكن إدخالها إلى النظام العالمي.. ولكن شرعيتهم وقوتهم تظلان مستندتين إلى القوة الإمبريالية.

وقد وصف أحد علماء الاجتماع يهود البلاط بأنهم: "مخصيون لم يتم خصيهم".. وهو وصف دال أيضا لأعضاء النخب الثقافية والسياسية في العالم الثالث، الذين تم إعادة إنتاجهم على هيئة جماعة وظيفية عميلة، تخدم النظام الإمبريالي العالمي الجديد.

ونحن نرى أن النظام العالمي الجديد، ينطلق من إدراك الدول الغربية صعوبة المواجهة العسكرية والأيديولوجية الواضحة مع شعوب العالم الثالث (وخصوصًا الشعوب الإسلامية)، وإدراكها أيضًا ظهور نخبة ثقافية محلية على استعداد كامل للتعاون معها والقيام على خدمتها، فقررت أن تلجأ إلى التفكيك الداخلي (من خلال النخبة المحلية العميلة)، بدلا من المواجهة المباشرة من خلال الجيوش وآليات الحرب التقليدية الأخرى.

(يبدو أنّ ذلك لم يؤتِ ثماره بالسرعة الكافية والدرجة المطلوبة، فتدخلت أمريكا لاحتلال أفغانستان والعراق.. والبقيّة تترى، وإن كان الرعب الذي سبّبه هذا الاحتلال، كافيا لتسريع عمليّات الهدم الداخليّ في البلدان العربيّة والإسلاميّة، خشيةً من كلّ حاكم على كرسيّه!).

هل صنعتْ الإباحيّةُ حضارةَ الغرب؟

قد يبدو السؤالُ غبيًّا .وهو فعلًا غبيّ!!

إذن لماذا نطرحُ مثلَ هذا السؤال؟

والإجابة: لأن هناكَ (عباقرةً) في مجتمعِنا يدعونَ إلى الإباحيّة، وعرض المشاهدِ العاريةِ في بلدانِنا (وهو ما يحدثُ بالفعل في مهرجان القاهرةِ السينمائيّ الدوليّ) وإلغاءِ الرقابةِ على الأدبِ والفنّ (والرقابةُ الآنَ تكادُ تكونُ مجرّدَ اسمٍ لا معنى له!)، وتدريس الثقافةِ الجنسيّةِ في المدارس (وهو في سبيله للتطبيق)، وإباحةِ الدعارة، وادّعاءِ أنّه لا يُوجدُ ما يُسمّى بالغزو الثقافيّ، ولكن يوجدُ فقط تفاعلٌ ثقافيّ، ...... إلخ.

كل ذلك بدعوى أن الغربَ يفعلُ كذا وكذا، وبما أنّه يفعله، وبما أنّه متقدّم، وبما أننا نريدُ أن نتقدّمَ مثله، فعلينا أن نكونَ إباحيّينَ مثله!

ويكادُ الأمرُ يكونُ عبثًا لو حاولنا أن نردَّ على هذه الدعاوى العبيطة، ولكن يبدو أنّه لا مفرّ، فمن يُطلقونَ هذه الدعاوى يملكونَ وسائلَ الإعلام، ويزيّفونَ وعيَ الناس، والحرّيّةُ عندَهم تسيرُ في اتّجاهٍ واحد: حرّيّةِ أن يفرضوا علينا آراءهم، دونَ أن يكونَ لنا حقُّ الاعتراضِ أو الرفض!

كيفَ تولدُ الحضارة:

إن ما يصنعُ الحضارةَ هو منظومةٌ من القيمِ والأفكارِ والعقائد، مهما اختلفَ نوعُها:

- **فالإسلامُ صنعَ حضارةً قامتْ على أساسٍ دينيّ.**
- **والرأسماليّةُ صنعتْ حضارةً قامتْ على أساسِ استقلالِ الفرد.**
- **والاشتراكيّةُ صنعتْ حضارةً، قامتْ على أساسِ سيطرةِ الدولة.**
- **والنازيّةُ التي اكتسحتْ أوروبا وشمالَ إفريقيا وهددت الديمقراطيّةَ الغربيّة، قامتْ على نظريّةِ تفوّقِ الجنسِ الآري، وتميّزِ الألمانِ عن باقي شعوبِ الأرض.**

- **والصهيونيّةُ التي نجحتْ في إقامةِ دولةِ إسرائيلَ على الرغمِ من أنوفِ العربِ، قامتْ على أساسِ أنَّ اليهودَ هم شعبُ اللهِ المختار، وأنَّ اللهَ قد وعدَهم بالعودةِ إلى الأرضِ المقدّسة.**

من الواضح إذن أن الحضارةُ تبدأ بدين أو عقيدةٍ أو فكرةٍ أو مبدإٍ أو فلسفةٍ أو نظريّة.. تلك المنظومةُ الفكريّةُ (صحيحةً أو خاطئة) هي التي تُعطي الحماسَ للأفرادِ للعمل والكفاح والتفكيرِ والإبداع لتطبيق العقيدةِ وتحقيق النظريّة.. هذا التغيّرُ الخلاقُ في شخصيّةِ الفردِ هو الذي يصنعُ الحضارة، ويولّدُ الاختراعاتِ ويُعلي البنيان.. إننا أمامَ إنسانٍ كرّسَ نفسَه لخدمةِ هدفٍ يراهُ ساميًا.. هدفٍ يُطلقُ طاقاتِه ويشحذُ ذهنَه ووجدانَه.. لهذا تقترنُ الحضارةُ بازدهارِ الفلسفةِ والأدبِ والفن والعلمِ والتكنولوجيا، ويُصاحبُها رخاءٌ اقتصاديّ، وقوّةٌ عسكريّة.

سؤالٌ للتفكير:

هل تقليدُ مظاهرِ حضارةٍ ما، يمكنُ أن يصنعَ حضارة؟

كيف تنهارُ الحضارة:

- **تصاحبُ الحضارةَ دائمًا قوّةٌ عسكريّةٌ، تسوّلُ لأصحابِها أنهم أفضلُ شعوبِ العالمِ وأكثرُها علمًا وحكمة، لهذا يـعونَ إلى فرضِ أفكارِهم على باقي الشعوبِ (المتخلّفةِ)، وغالبًا ما يتطوّرُ الأمرُ إلى احتلالٍ عسكري، طمعًا في ثرواتٍ لا يستحقها هؤلاءِ المتخلّفون[16][1].. مثلُ هذه الـ عةِ الاستعماريّةِ هي التي تستـ فُ الحضارات، حيثُ يتضخّمُ الإنفاقُ العسكري على حسابِ جوانبَ أخرى، كما يـضيعُ خيرةُ الشبابِ في الحروبِ بلا هدف، خاصّةً أن الشعوبَ المغلوبةَ لا تستكينُ للاحتلال، وتستمر في المقاومة، كما أن سياسةَ التوسّعِ تخلقُ العداءَ والصراعَ بينَ الحضاراتِ القوّية، كما حدثَ بينَ الفرسِ والرومِ، وفرنسا وانجلترا.**
- **تنشأُ مع الرفاهيةِ أجيالٌ منّعمةٌ، ترثُ الحضارةَ جاهزةً بكل نزعاتِ الغرورِ فيها.. هذه الأجيالُ تغرَقُ في اللهوِ والخلاعةِ والفسادِ والمجون، دونَ أن تحاولَ أن تبذلَ مجهودًا للحفاظِ على الحضارةِ.. هنا تكونُ الحضارةُ كفقّاعةٍ متألّقةٍ تعكسُ ألوانَ الطيف، لكنّها هشّةٌ تموجُ بالتوتّرِ والمشاكل الاجتماعيّةِ والتفكّكِ الأسري، والانيارِ الأخلاقيّ.. والباقي مسألةُ وقتٍ فحسب!**

لماذا يحاربُ الغربُ الإسلام:

16[1] لحسن حظّك أنّك ترى ذلك الآن عينيّا، فأمريكا وبريطانيا تطبّقانه عمليّا الآن في العراق!!

ذكرنا أن العقيدةَ أو الفكرةَ أو الفلسفةَ هي ما يصنعُ الحضارة.. فهل يكونُ من المستغربِ أن يتخوّفَ الغربُ من عودةِ الحضارةِ العربيّةِ على أساسِ العقيدةِ الإسلاميّة؟

إن الإسلامَ دينُ حياة، وهو لا يتركُ شيئًا من حياةِ الإنسان إلا ويخضعُه لنظامٍ دقيق مُحكم، ويجعلُ الهدفَ الأسمى لحياةِ المسلم هو الله، بحيث يتوجّهُ المسلمُ في جده ولهوه بنيّةِ الإخلاص والطاعةِ لله عز وجلّ.

فهل هناكَ تغييرٌ أسمى من هذا، يمكنُ أن يدركَ شخصيّةَ المرءِ، ويحفّزه على النظامِ والدقّةِ والاجتهادِ والإتقان والإبداع؟

ولا يتّسعُ المقامُ للتّفصيل، ولكن يكفي أن يتفكّرَ كل منّا في كل أمرٍ من أوامر الدين، ويحاولَ أن يتخيّلَ تأثيرَه على حياةِ وشخصيّةِ من يلتزمُ به.

لهذا، إذا كانَ الغربُ الاستعماري يريدُ أن يضمنَ تبعيّتنا الاقتصاديّةَ والسياسيّةَ له إلى الأبد، فلا بد أن يمنعَ ويحاربَ كل ما يمكنُ أن يمنحَنا الوعيَ والهدف.

لهذا تجدُ الإسلامَ على رأسِ القائمة، وإن كان ليس بمفردِه، فالغربُ يُحاربُ تقدّمَنا في كل المجالات.. العسكريةِ والاقتصاديةِ والعلمية.. وغيرها.

أينَ نحنُ الآن:

يمكنُكَ أن تقولَ إنّنا الآنَ في منطقةِ العدم.. منطقةِ فقدان الهُويّةِ وتخبّطِ الخطط، وضياعِ الطريق.

لقد نجحنا بمهارةٍ في تزويجِ سلبيّاتِ الحضارةِ العربيّةِ بسلبيّاتِ الحضارةِ الغربيّة!

فأخذنا من تاريخنا:

- **السلبيّةَ والاستسلامَ التام للحكّامِ مهما طغَوا واستبدّوا.**
- **وإهمالَ المعرفةِ والثقافةِ، وإنكارَ دورِ العقل، والاعتمادَ على النقل عن السلفِ باعتبارِ أنّهم أتَوا كل المهام الممكنة.**
- **والوقوعَ في الصراع والخلافِ حولَ توافهِ الأمور.**

وأخذنا من الغربِ:

- **تسفيهَ القيمِ والأخلاقِ والضمير.**
- **وحريّةَ المرأةِ التي تعني عُريَها وإهمالَها لدورِها الأسمى في الحياةِ ـ وهو تربيةُ أولادِها ورعايةُ بيتها ـ لكي تزج بنفسِها في أعمالٍ يؤدّيها الرجلُ بنجاح، ولا تضيفُ إليها المرأةُ شيئًا ـ بالطبع ما عدا تلك التي تعتمدُ على جسدِها كسلعةٍ أساسيّة!!**
- **وتفاهةَ الشبابِ ولهاثَهم خلفَ كل موضةٍ وتقليعةٍ في الملابس وقصّاتِ الشعر والأغاني والمأكولاتِ وأماكن اللهو والترفيه ... إلخ.**
- **والاستهلاكَ الزائدَ عن الحد، والجريَ وراءَ الأحدثِ والأكثر رفاهية، وإشباعَ شهوةِ الامتلاك.**
- **وانهيارَ العلاقاتِ الأسريّةِ والترابطِ الاجتماعيّ، وشيوعَ الفرديّةِ وتقديس المرءِ لذاتِه.**

هذا المزيجُ المرعبُ أدّى إلى مخلوقاتٍ لا هدفَ لها في الحياةِ ـ غيرُ مصالحِها الشخصيّةِ المحدودة ـ تُهملُ العلمَ والعملَ والعبادة، لا تعرفُ تاريخَها ولا مجتمعَها ولا غدَها، يسيرُ الزمنُ من حولها وهي في موضِعِها، كالحةً شاحبةً هزيلة!

ماذا ننتظرُ إذن؟

هل يمكنُ أن تحصلَ هذه المخلوقاتُ على السعادة؟

هل يمكنُ أن تغيّرَ واقعَها، وهي لا تفهمُه أساسًا؟

هل يمكنُ أن نُوقفَ اتّساعَ الفجوةِ بينَ مجتمعِنا والغرب؟١٧[2]

يا لها من أسئلة!

الأغرابُ في أوطانِهم:

ثم كيفَ يكونُ في نظرِكَ موقفُ من يعرفونَ طريقَهم وسْطَ هذا التيه، الذينَ يرونَ الحقيقةَ ناصعةً وسْطَ الظلام، الذين يدركونَ من أينَ جاءوا ولأينَ هم؟

إنهم للأسفِ غرباءُ في أوطانِهم، موضعُ سخريةٍ من السّذّجِ والدهماءِ والجهلاء، وموضعُ حذرٍ واضطهادٍ ممن هم في مواضعِ السلطةِ ويسوؤهم أن يبصرَ الناسُ الحقيقةَ لسببٍ أو لآخر!

وليسَ ذلكَ بغريب!

إن الجهلاءَ والأشرارَ والمنحرفينَ والمتحرّرينَ والمنتفعينَ يُجاهدونَ لطمس هُويّةِ الملتزمين، لأنّهم يُفقدونَهم الأمانَ النفسي والاجتماعيّ، ولذّةَ الاستمتاع بالخطإِ دونَ تذكّرِ أنّه خطأ، ودونَ الشعور بالحقارةِ وقلّةِ الشأن وتأنيبِ الضمير!.. كما أنّهم بالطبع يخشونَ من محاولة هؤلاء للتخلّص منهم واستئصالهم، كأيِّ ورمٍ خبيث ينبغي استئصاله!

لذلك ترى من يفعلُ الخطأَ يتبجّحُ ويقولُ لك: أنا حرّ!

ولكنّه لو رأى إنسانًا ملتزمًا يُسارعُ بالسخريةِ منه، ونعتِه بألفاظٍ: المتحجّر، الرجعيّ، المتخلّف، عدوّ التقدّم، المنغلق، الجاهل، السطحيّ .... إلخ!!!

الذينَ انبهروا حتّى سالَ مخاطُهم:

هل تعرفُ معنى الشعور بالنقص وكيف ينشأ؟

في البدايةِ ستجدُ لديكَ شخصًا يجهلُ قدراتِه ومواطنَ القوّةِ في نفسِه.. ضعيفَ العقيدة.. ذا ثقافةٍ ضحلةٍ أو مشوّهة.

17[2] أعتقد أن ما يحدث الآن في (العراق) خير دليل على الثمن الفادح الذي يدفعه أناس هذا حالهم!!!

هذا الشخصُ يكتشفُ فجأةً أن هناكَ دنيا أخرى غيرَ التي يعرفُها، سواءٌ بالانتقال إليها أو القراءةِ عنها أو مشاهدةِ أعمالٍ فنّيةٍ تُصوّرُها.

ماذا سيحدثُ في نظركَ حينئذٍ؟

ماذا سيحدثُ لفقيرٍ محرومٍ، حينما يصطدمُ فجأةً ببيئةِ الأغنياءِ ذاتِ البذخِ الفاحش؟

أو لريفي بسيطٍ انتقلَ فجأةً لمدينةٍ هائلةٍ، أدهشته أضواؤها البارقةُ وسياراتُها الفارهة، ونساؤها العارية، وأماكنُ اللهوِ والترفيهِ فيها؟

النتيجةُ الطبيعيّةُ أن يشعرَ مثلُ هذا الشخصِ بأنّه وحيدٌ ومختلفٌ ومتخلّفٌ وسْطَ الجموع، وأن كل ما يقولُه ويفعلُه ويعرفُه هو مما يُشينُ ويُخجلُ ويجبُ التنصّلُ منه فورًا، وتبنّي الثقافةِ والنمطِ الجديدِ بديلا عنه!

هل تعرفُ ماذا إذن سيتبنّى؟

الألفاظ، الملابس، العادات، الموضات.. وكل ما هو شكلي وسطحيّ، ولكنّه يراه بعينِه القاصرةِ وثقافتِه الضحلةِ الطريقَ السريعَ الذي يوصلُه لمستواهم!

حتّى حينما يريدُ أن يأخذَ من أفكارِهم، سيردّدُ وراءهم بعضَ الكلماتِ التي يُطلقونَها، دونَ أن يفهمَها حق فهمها!

وبالتالي سينحصرُ الأمرُ في النهايةِ في أنّه سيقلّدُهم تقليدَ الفردِ الذي يضحكُ منه من يراه!

هل سيفهم كيفَ وصلَ مجتمعُهم للغنى والرخاءِ والعلمِ والتقدّم؟.. أشكّ!.. ستجدُه فقط يتكلّمُ بانبهارٍ وافتخارٍ عمّا أنجزوه، ويحتقرُ كل ما يمت لثقافتِه ومعرفتِه بالصلة!

هل سيعملُ باجتهادٍ مثلما يعملون؟.. أشكّ!.. ستجدُه فقط يلهو مثلما يلهون!!

هل سيباريهم في الابتكارِ والإبداع؟.. أشك!.. سيستهلكُ فقط ما ينتجون، ويُقلّدُ بطريقةٍ ممسوخةٍ مبتسرةٍ ما يبدعون!

و حينما يعودُ هذا العبقري إلى قومِه، سيشمخُ بأنفِه عاليًا، وينظرُ إليهم شَزْرًا، ويشعرُ حيالَ أفكارِهم ومعتقداتِهم وعاداتِهم وتقاليدِهم بالاشمئزاز!

وحينما يستنكرُ أحدُهم ما يدعوهم إليه يطلقُ عليه وابلا من الاتهاماتِ من قبيل: المتخلّف، الرجعي، المنغلق، الهمجيّ، المعزول عن العالم، ضحل المعرفة!

ومن ثم تصبحُ رسالةُ مثل هذا (التقدّمي التحرّري المتفتّح) أن يُنقذَهم من الضلال والجهل والتخلّف، ويُخلّصَهم من كل ما ورثوه من المعتقداتِ الباليةِ والأفكارِ المُظلمةِ والعاداتِ الضارّة ، وأن ينشرَ بينَهم كل ما ألم به من ضروبِ المعرفةِ والفن والعلم!!

هل يبدو لك هذا الكلامُ مألوفًا؟

إنّكَ تقرأه وتسمعُه وتراه كل يومٍ، في جرائدِنا وصحفِنا ومجلاتِنا وإذاعاتِنا وتلفزيوناتِنا!

إنّكَ تلمسُ ضحاياه في كل شارعٍ وفي كل مدينة: آلافًا من الشبابِ فاقدي الهويّة، الذينَ ضاعوا في العدم، فلا صاروا شرقيّينَ ولا صاروا غربيّين، لا يعرفونَ شيئًا عن تاريخهم ولا تاريخ الغرب.. لا يلتزمونَ بدينهم، ولا بمنهج الغرب.. أجيالا بلا هدفٍ ولا طريق، لا تعرفُ ما تُريدُ ولا ما يُرادُ بها!

ما الذي حدث بالضبط:

عندما أسرَ (لويس التاسعَ عشر) ملكَ (فرنسا) في دار (ابن لقمان) بالمنصورة، بعد الهزيمة النكراء التي مني بها جيشه، قضى وقتَه في الحبس يفكّر في السببِ الذي جعلَ جيشا قويّا منظّما كجيشِه يلاقي مثلَ هذه النهايةِ المخزية.

ولقد توصّل إلى السبب.. إنّه العقيدةُ الإسلاميّة الراسخة، التي تجعل من يقاتل في سبيلها يقبلُ على الموتِ كما يقبلُ العريس على عروسه!.. من هنا تبلورت في رأسه الكيفيّة التي يمكن بها تدمير هذه العقيدة، كخطوة جوهريّة في سبيل القضاء على العرب واحتلال أراضيهم.

ومن يومها، بدأ دراسة الإسلام في الغرب بعمق، وأخذت الدراسات الاستشراقيّة تدبّج الكتب عن تاريخ الإسلام والحضارة الإسلاميّة، متبعةً ـ ظاهريّا ـ المناهج العلميّة في النقد والتحليل والاستنتاج.. ولكن في الحقيقة، تمّ تزييف صورة الإسلام، وحشو هذه الكتابات بالشبهات الباطلة حول الرسول وأصحابه وخلفاء الإسلام.. وهي شبهات عديدة وخطيرة، تمّ جلب الكثير منها من عقائد الجماعات والفرق الشاذّة عن الإسلام.

وطوال ثلاثة قرون تمّت تربية هذه الجراثيم بصبرٍ ودهاء، في انتظار اللحظة المناسبة.

وللأسف، قام الحكم العثمانيّ ـ بدون وعي ـ بدور أكبر من اللازم في خدمة هذا الغرض الدنيء.. فبالرغم من رفع شعار الخلافة الإسلاميّة، إلا إنّ الأتراك كانوا يعاملون رعايا ولاياتهم بشكّ، فلم يسمح لهم بالالتحاق بالجنديّة خوفا من انقلابهم على الحكم التركيّ، وأهمل العلم والتفكير والتطوّر في البلاد العربيّة، بل حتّى أهملت مشروعات الريّ والجسور وغيرها، ممّا سبب مآسي كثيرةً في الدول العربية، سواء بسبب الفياضانات أو المجاعات أو الأوبئة.. الشيء الوحيد الذي اهتمّ به الأتراك، هو أن يجنّدوا المرتزقة من الألبان والشراكسة والأرناؤوط والمماليك، ليقوموا بجباية الضرائب من الناس، ويدافعوا عن حدود الدولة العثمانيّة إذا لزم الأمر[18][3].

هذا بينما كانت الطباعة والصحافة في (أوروبا) وثورة البخار والصناعة تغيّر المجتمع الأوروبيّ، وتؤثّر في الأفكار والفلسفات والآداب والفنون، بل وحتّى العقائد.

18[3] أرجو ألا يفهم أحد من انتقادي للخلافة التركيّة، أنّني أعترض على الخلافة الإسلاميّة.. ويجب أن يفهم العلمانيّون والإسلاميّون على السواء، أنّ قدرة الحضارة الإسلاميّة على انتقاد الذات، وتقييم كلّ شيء على الشرع دون الخوف من حاكم أو سلطان إلا الله، هو أهمّ عوامل ازدهارها لأكثر من ألف عام.. أليس أفضل الجهاد كلمة حقّ عند ملكٍ جائر؟

ثمّ حانت لحظة المواجهة، واحتلّ الفرنسيون (مصر).. وكان هذا بمثابة تصادمٍ هائل، بين مجتمعين يفصلهما ثلاثة قرون من التطوّر.

وحدث ما لا بدّ أنّك تعرفه، وخرجت الحملة الفرنسيّة من (مصر) بعد ثلاث سنوات فحسب، كان لها أكبر الأثر في مستقبلنا حتّى يومنا هذا.

وجاء (محمّد علي) باشا واليا على (مصر) وقرّر تحديث (مصر) لتصبح دولةً عصريّة حديثةً يسخّرها لخدمة أغراضه.

وقام (محمّد عليّ) بما لا بدّ أنّك تعرفه من تطويرات في المجتمع، كانت كلّها للأسف تخدم مصالحه وحده، تبعا للمقولة الموجزة التي تصف (مصر) في عصره: "أغنى دولة لأفقر شعب!".. فالبرغم من كلّ شيء، ظلّ الفلاح المصريّ في نفس شقائه.. فحتّى عندما كان محصوله يزيد، لم يكن يتلقّى نقودا.. كان (محمد علي) يكتب له إعفاء من الضرائب عن بعض السنوات القادمة!!.. ورغم أنّ (محمد عليّ) سمح للمصريّين بالانخراط في التجنيد لأوّل مرّة منذ قرون، إلا إنّ ذلك أدّى إلى أن يدفع مئات الآلاف من الفلاحيين المصريّين حيواتهم في حروبه المريضة التي لا طائلَ منها في شبه الجزيرة العربيّة والشام والبلقان!

وما يهمّنا هنا في كلّ هذا، هو البعثات العلميّة التي أرسلها (محمد عليّ) لـ (فرنسا) و(انجلترا) لنقل علوم الغرب إلى (مصر).

إنّ ما حدث لأفراد هذه البعثات كان حتما محتوما.. كانوا كأنّما ركبوا آلة زمن ثلاثة قرون إلى المستقبل، ليجودا أنفسهم في عالم مبهر، من المستحيل ألا يسيل لعابم ـ بل مخاطهم ـ أمامه!

كانت المقارنة ظالمة، بين مجتمع رأوه كمجرّد حظيرة مواشي كبيرة، ومجتمعات رأوها مدن النور والآدابِ والفنون والحضارةِ والصناعةِ والرفاهيةِ والتحرّرِ واللهو، بالإضافة للقوّةِ العسكرّية القاهرة.

هنا انارت مقاومة هؤلاء الشباب وانزموا نفسيّا.

وهنا كانت فيروسات الاستشراق في انتظارهم.

إنّهم الآن يقرأون عن دينهم على الطريقة الغربيّة، فيبهرهم المنطق العلميّ والأسلوب التحليليّ والفكر المنظّم.

وهم كذلك يجدون فيما يقرأون التفسير للسؤال الذي يحيّر عقولهم: ما هو سبب تخلّفنا؟

وكانت الإجابة بالطبع هي جمود حياتنا، وانغلاق عقولنا.

وأفضى هذا إلى رفض كلّ ما يمتّ للتراث والدين بِصِلة، باعتباره باعثا من بواعث الرجعيّة والتخلّف والجمود، وتبنّي كلّ منهج غربيّ كبديل.

وعاد هؤلاء المساكين ليعلّمونا كيف نفهم ديننا كما فهمه الغرب، لأنّ فهمنا الخاطئ له هو سبب ما نحن فيه من ركود وتخلّف!

يجب أن نغيّر كلّ شيء:

يجب أن نحلق اللحى، ونخلع الطربوش، ونستبدل بالبذلة الجلباب، وتخلع نساؤنا النقاب ويختلطن بالرجال، ونحرّر اللغة من الألفاظ المتقعّرة والمعجميّة وقيود السجع والزخرف اللفظيّ، ونقلّد الأساليب الغربيّة الرشيقة

الخالية من التصنّع، وتحرّر الشعر من الوزن والقافية.. بل وصل الأمر إلى المناداة بنبذ الفصحى، واعتماد العامية كلغة رسميّة للدولة والأدب والفنّ، وكتابة الكلمات العربيّة بالحروف اللاتينيّة!!!

ولكي تدرك حجم المأساة، يجب أن أذكر لك ماذا حدث للشيخ (رفاعة الطهطاوي)، الذي ذهب مع إحدى البعثات كمرشد دينيّ، يعظ البعثة ويؤمّها في الصلاة، فعاد بعد خمس سنوات ليكتب في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، أنّ الرقص الأوروبيّ الذي يتعانق فيه الفتى والفتاة ينمّ عن رشاقة الفتاة وليس فيه ما يعيب، وأنّ فتياتنا يجب أن يخرجنَ للتعليم وتخالط المجتمعات، وأنّ زواج الرجل على زوجته ظلم لها، وأنّه يجب تقييد حرّيّة الرجل في تطليق زوجته متى شاء!!".

هذا هو الذي حدث لرجل الدين، فما بالك إذن بباقي الأفراد؟!!

وللأسف الشديد، ازداد حاملي هذا الفيروس في المجتمع، وازداد عددهم في كلّ المجالات، وبدأوا ينشرون العدوى لمزيد من الناس.

ولقد وجدت هذه الفيروسات المناخ الملائم لها في ظلّ الاحتلال الإنجليزيّ، الذي هيأ لهم المنابر الإعلاميّة والمناصب الحسّاسة في البلد، حتّى مكّن لهم.. ليس هذا فحسب، بل تمّ تغيير البنية الاجتماعيّة في (مصر) لتتعارض مع شرع الله، وتدمّر الأخلاقَ والقيم.

وكان التخطيط أن تكون (مصر) بؤرة الإشعاع، التي يتمّ نشر هذه الفيروسات منها للوطن العربيّ كلّه.. لهذا ليس غريبا أن تظهر السينما في (مصر) بعد ظهورها في الغرب بثمانية سنوات فحسب، وأن تبدأ على الفور تلك البداية الماجنة، لنشر الخلاعة والتهتّك والعري في المجتمع.. فمن الحبّ والعري والرقص والأحضان والقبلات والإثارة، إلى تسفيه القيم والسخرية من الملتزمين والتنفير من كلّ ما هو سويّ وقويم، إلى نشر دعوات حرّيّة المرأة ومساواتها بالرجل وأهمّيّة أن تتعلّم ـ تعليما إلزاميّا ـ وتعمل.... إلخ.

هذا بخلاف الهجوم المستمرّ على الإسلام، وإنكار السّنّة والتشكيك في القرآن.. وهو ما زال مستمرّا بلا هوادة إلى يومنا هذا.. ويكفي أن أذكر لك مثالا واحدا، وهو إنكار (طه حسين) في كتابه "في الشعر الجاهليّ" لقصّة بناء (إبراهيم) و(إسماعيل) للكعبة، التي وردت في القرآن الكريم، زاعما أنّ القرآن أورد هذه القصّة مراعاةً لحبّ العربِ للفخر والمجد!!.. ولقد اضطرّ (طه حسين) للتراجع أمام الثورة العارمة التي ووجه بها، ولكنّه لم يتوقّف عن دعم الطلبة الذين يقدّمون رسائل الماجستير والدكتوراة حول هذه المواضيع المشبوهة[19][4].

---

[19][4] قاعدة هامّة: أيّ شخص يتمّ تلميعه في الإعلام والتعليم يجب أن تثق أنّ وراءه داهية.. والقائمة طويلـة: خذ عندك: (رفاعة الطهطاوي) ـ (جمال الدين الأفغانيّ) ـ (محمد عبده) ـ (قاسم أمين) ـ (أحمـد لطفـي السيّد) ـ (سلامة موسى) ـ (طه حسين) ـ (نجيب محفوظ)......... إلخ!

ورغم أنّ الكثيرين من رجال الدين والفكر والأدب حاولوا التصدّي لمثل هذه الفيروسات اللعينة، إلا إنّ الإنجليز والثورة من بعدهم وقفت لهم بالمرصاد، وكانوا محرومين من المنابر التي يستطيعون بها توصيل فكرهم إلى الناس، حيث يتمّ اعتقالهم ومصادرة كتبهم ومنع مقالاتهم من النشر، وأحيانا يتمّ طردهم خارج (مصر)[20][5].

والآن.. بعد أن تمّ تطبيق معظم الأفكار المريضة التي بثّتها هذه الفيروسات: إلام وصلنا؟

هل أصبحنا دولة عظمى؟

هل لدينا ديمقراطيّة؟

هل لدينا تعليم.. علم.. بحث علمي!؟

هل لدينا اقتصاد.. صناعة.. تصدير؟

هل لدينا جيش.. عزّة.. استقلال سياسي؟

هل المجتمع مستقرّ.. آمن.. سعيد؟

عامّة إنّ الفيروسات التي تسيطر على ثقافتنا وإعلامنا وتعليمنا، تواجه الآن مطبّا شديدا، وذلك للأسباب التالية:

1. **وصول الحقّ لجمهور أوسع عبر الفضائيّات ووسائط الكمبيوتر المتعدّدة والإنترنت.**
2. **إنتاج رجال الدين والمستنيرين من المفكّرين والمخلصين لهذا الوطن، الأمصال المضادة لكلّ الأفكار الجرثوميّة التي نشرتها هذه الفيروسات، ومع وجود الوسائل الملائمة سيزيد من يتمّ إنقاذهم من أفراد المجتمع باستمرار.**
3. **أنّ التجربة قد أثبتت فشلها، وتفشّت في المجتمع أسباب التعاسة والتخبّط والانهيار، ممّا جعل الكثيرين يفقدون ثقتهم بكلّ هذه المنظومة باطّراد[21][6].. إنّ هناك شعورا عامّا بأنّنا نحتاج لمنظومة حضاريّة جديدة.**
4. **أن عصر الاستعمار العسكريّ الفعليّ (استعمار الأرض) قد عاد من جديد، هذه المرّة على يد (أمريكا) بلد الحرّيّة والمساواة وحقوق الإنسان والمرأة والحيوان!!.. أعتقد أنّ هذه الصفعة ستجعل الملايين يفيقون**

---

[20][5] إنّنا لا نحكي تاريخا.. ما زالت هذه الحقبة اللعينة في تاريخنا لم تنته بعد.. وآخر من تمّ منعهم من الخطابة في (مصر) الأستاذ (عمرو خالد)، رغم أنّه لا يتطرّق إلى السياسة.. ولكنّ الخطورة جاءت من اتساع شعبيّته خاصّة بينَ الشباب، خاصّة بينَ الفتيات، خاصّة بينَ أبناءِ الطبقات العليا، ممّا ينذر بتغيير الصفوة الحاكمة في البلد، وهدم كلّ ما تمّ بناؤه في ٢٠٠ عام!!

[21][6] أنا شخصيّا واحد من هؤلاء، فقد نشأت وسط غسيل المخّ الإعلاميّ والتعليميّ، وظللت لفترة طويلة مقتنعا بمنظومة: لا للختان.. لا لتعدد الزوجات.. لا للزواج المبكّر.. حتميّة التعليم الإلزاميّ... ولكنّ كلّ ما حولي أثبت فشل هذه المنظومة اللعينة، ووجدت نفسي كافرا بكلّ ما يدعونني إليه.. وها أنا الآن من أشد أعداء هذه المنظومة، بكلّ ما أملك من وسائل!!.. حقّا: إنّك لا تستطيع أن تخدع كلّ الناس كلّ الوقت!

من غفوتم قبل فوات الأوان[22][7].. إنّ الأطفال الذين يرون بأعينهم اليوم ذبح أطفال (فلسطين) و(العراق) لن يستطيع أحد سرقة وعيهم منهم.. مهما حاول!

النقيضان المتطابقان:

غالبّيةُ مفكّرينا ومثقّفينا وسياسّيينا يدعونَ إلي (ويطبقونَ) فصلَ الدين عن الأدبِ والفن والعلمِ والمجتمع والسياسة (ولم يعدْ متبقيا إلا فصلُ الدين عن الدين)!!

وغالبّيةُ رجال الدين والدعاةِ والوعّاظِ لدينا، يقصرونَ قراءاتِهم على الكتبِ الدينّيةِ والتفاسيرِ القديمة، ويدّعونَ أنها كافيةٌ وحدَها لفهمِ وتفسيرِ الدين!

العجيبُ أن الطرفينِ متّفقان تمامًا!

الأولونَ يعزلونَ الدينَ عن الحياة، والآخرونَ يعزلونَ الحياةَ عن الدين، وفي كلتا الحالتين لا يتبقّى من الدين شيء، فالدينُ جاءَ لتنظيمِ حياةِ المسلم في كل كبيرةٍ وصغيرة.. وكما قالَ الرسول (صلى الله عليه وسلم): "الدينُ المعاملة".. وهذه المعاملةُ هي كل جوانبِ الحياة.

لهذا لا أستطيعُ أن أتخّيلَ مفكرًا أو أديبًا أو فنانًا أو سياسيا يهدفُ إلى إصلاحِ المجتمع دونَ أن يكونَ على ثقافةٍ دينّيةٍ واسعة، ودونَ أن يكونَ اللهُ سبحانَه هو هدفَه الأسمى.

كما لا أستطيعُ أن أتخّيلَ واعظًا يتكلّمُ في الدين دونَ أن تكونَ لديه معرفةٌ بالحياة: بالسياسةِ والاقتصادِ وعلمِ النفس والاجتماعِ ومشاكل المجتمع، يستخدمُ الحاسبَ الآليّ والإنترنت، ويقرأُ في علومِ الفضاءِ والذرّةِ، ويُتابعُ تطوّرَ الطب والهندسةِ، ويقرأُ الآدابَ الرفيعةَ، والفلسفة (والتي ـ بالمناسبةِ ـ تعني في اللغةِ حب الحكمة، والذينَ يكفّرونَها على إطلاقِها يكفّرونَ حب الحكمة، مع أن اللهَ سبحانه هو الحكيم!!).

وإلى أن يحدثَ هذا وذاك، فلن نتحركَ قيدَ أنملةٍ.. إلا إلى الوراء!

تساؤلاتٌ حرّةٌ عن الحرّية:

- **ما الفارقُ بينَ الحريّةِ والفوضى والهمجيّة؟**
- **ما الفارقُ بينَ حرّيةِ الدّينِ والعبادة: مسلم.. مسيحي.. يهودي.. أو حتّى وثني!، وبينَ حريّةِ احتقارِ الدينِ ومهاجمةِ المقدّساتِ والتعدّي على الحُرمات؟**
- **ما الفارقُ بينَ حريّةِ الإبداعِ والفكرِ والديموقراطيّة والتعبيرِ عن الآراءِ**

---

[22][7] وإن كنت لا أتوقع أن تكفي هذه الصفعة للقضاء على الفيروسات التي تملأ المجتمع!!

ومهاجمةِ الأخطاء، وبينَ حريّةِ المجاهرةِ بالأخطاءِ والرذائلِ والفواحشِ والمَباذلِ والقصصِ الفاضحةِ والمجلاتِ الخليعةِ والأفلامِ الإباحيّة؟

- **ما الفارقُ بينَ حريّةِ المرأةِ التي تعني: امرأةً متعلّمةً مثقّفةً واعيةً تعرفُ حقوقَها وتُعبّرُ عن آرائِها ويحترمُها الجميعُ في إطارٍ من الاحتشامِ والأخلاقِ وعدمِ الاختلاطِ بالرجال، وبينَ حرّيّةِ المرأةِ التي تجعلُها راقصةً أو داعرةً أو عارضةَ أزياء، أو تجعلُها تسيرُ شبهَ عاريةٍ في الشارع؟**
- **لماذا تفرضُ الدولةُ العقوباتِ على متعاطي المخدراتِ، مع أنّها (حرّيّةٌ شخصيّة)، ولا تفرضُها على الراقصاتِ والممثلاتِ الخليعاتِ والكتّابِ الإباحيّين، الذينَ هم السببُ الرئيسيٌّ في انحرافِ الشبابِ، ووجودِ مثلِ هؤلاء المدمنينَ والمجرمين؟!!**

هذه الأسئلةُ للتفكيرِ.. فقط!!

لا لتدريسِ الجنس في المدارس

حتّى نفهم اللعبة أولا:

حينما ثارت زوبعة (وليمة لأعشاب البحر)، تلك الرواية اللعينة التي نشرتها وزارة الثقافة باسم حرّيّة الإبداع، طلع علينا وزير الجنس - أو كما يسمّونه وزير الثقافة - في برنامج حديثِ المدينة يدافعُ عن هذه الرواية المليئةِ بالألفاظِ القبيحةِ والتهجّمِ على الدين، وأثبتَ لنا مدى ثقافتِه وبعدِ رؤيته، حينما أوضحَ لنا أنّ استخدامَ المؤلّف لكلمة "الخراء" - لا مؤاخذة - هو استخدام فنّي بعيدٌ عن الابتذال!!

وللأسفِ حذف المونتاجُ كلماتٍ أخرى سردها الوزيرُ ممّا وردَ في الرواية، حيثُ يبدو أن معدّي البرنامج كانوا أبعدَ نظرًا من الوزير، فقد فهموا أنّ أي دفاعٍ عن هذه الروايةِ المنحطّةِ

سيضيعُ هباءً لو سمعَ المتفرّجونَ بعضَ ما وردَ بها، لهذا اكتفوا بدفاعِ الوزيرِ عن "الخراء" ـ لا مؤاخذة!!

ولم يكد يمضي عامٌ واحدٌ حتّى ثارت الضجّةُ حولَ ثلاثِ رواياتٍ أخرى من نفـسِ النوعيّـة، أصدرتها وزارة الجنس وصادرها بوليس الآداب!!.. وكانتِ المفاجأةُ هي أنّ وزيرَ الجنس ـ أو الثقافة.. لا فارق!! ـ أصابته الحميّةُ بدون سابقِ إنذار، وأعلنَ على المـلإ أن الروايـاتِ تمتلئ بكلامٍ بذيءٍ وفاضحٍ لا يستطيعُ أحدٌ أن يقرأهَ على ابنتِه أو أختِه، وقامَ بمعاقبةِ المـسئولينَ عن نشرِها وغيّرَ كثيرًا منهم.. وللمرّةِ الثانيةِ ظهرَ علينا في برنامج "حديثِ المدينة" ليعلنَ أنّه قد حذّر هؤلاءِ المذنبين من قبلَ عندما ثارت أزمة "وليمة لأعشابِ البحر"، ولكن يبدو أنّهم لـم يرتدعوا!!.. ولا أدري متّى ولا كيف حذرّهم، وهو الذي كان يدافعُ عن الروايةِ وعن "الخراء" ـ لا مؤاخذة ـ بنفسِه في نفسِ البرنامج!!

ثمّ لم يكد يمضي أسبوعٌ، حتّى فاجأ وزيرُ الجنسِ المحروسةَ كلّها برغبتِه في تدريسِ ما أسماه بالثقافةِ الجنسيّةِ في مدارسِنا، متذرّعا بكل بساطةٍ بأنّنا كلّنا أولادَ جنس ـ ابن الجنس!!

ويجبُ هنا أن تنتبَه إلى النقاطِ التالية:

- الرواياتُ الأربعُ التي ثارت حولها الضجّتان هي غيضٌ من فيضٍ متدفّقٍ من الروايـاتِ والقصصِ الفاضحةِ والمبتذلةِ والركيكةِ التي تنشرها قصور الثقافـة عبـر كـلّ أنحـاء الجمهوريّة منذ سنواتٍ طويلة، والتي وصلَ بها حد السفالةِ والفجر للخوض في الـشذوذِ وزنا المحارمِ وتسفيهِ المقدّسات.. فأينَ كانَ وزيرُ الجنسِ طوالَ كل هذا؟.. لو كانَ يعلـمُ فتلكَ مصيبةٌ، ولو كانَ طرطورًا لا يعلمُ فالمصيبةُ أعظمُ!!
- كانَتِ الأقلّيّةُ الإسلاميّةُ في مجلسِ الشعبِ هي أوّلَ من اندهشَ من تمريرِ استجوابِها حولَ الرواياتِ إلى مجلسِ الشعب، فهناكَ عشراتُ الاستجواباتِ الأخرى تتناولُ مواضيعَ أهـمّ تم تجاهلها كما هي العادة.. فلماذا هذا الموضوعُ بالذات؟!.. والأدهى أن يتراجعَ الوزيرُ أمامَهم ويعاقبَ المخطئين، في سابقةٍ هي الأولى نوعِها في مصر، لدرجةِ أن الـصحفَ رسمتِ الوزيرَ بعمامةٍ ولحية، واتهمته الاتجاهاتُ العلمانيّةُ بـالتواطؤ مـع الاتجاهـاتِ الإسلاميّةِ كرشوةٍ سياسيّة!!
- وإذا كانَ وزيرُ الجنسِ يغارُ على بناتِنا وأخواتِنا من بعضِ الألفاظِ الفاضحةِ في روايـاتِ وزارته، فكيفَ يسمحُ لمهرجان القاهرةِ السينمائي الدولي بعرضِ أفلامٍ بها عريٌ وجنسٌ وشذوذ في سينماتنا؟!!!!.. لقد كانت إجابتُه حقّا بليغة: إنّه مهرجانٌ دولي ولا يحق لنـا التدخّل فيه!!.. وعجبي!!

- هل مصادفةٌ أن تعلنَ الأخبارُ في التلفازِ والجرائدِ، أنّ البنكَ الدولي سيمنحُ مصرَ معونةً تقدّرُ بأربعينَ مليارا من الدولارات، لتطوير **التعليم** والتنمية الاقتصاديّة، في نفسِ التوقيتِ الذي أعلنَ فيه وزيرُ الجنس أنّه سيدرّس الجنسَ **بالمدارس**؟؟!!!!

هل تأمّلتَ هذه المعطياتِ جيّدًا؟.. هل تراودكُ نفسُ الأفكار التي تراودني؟.. تخيّل معي هذا السيناريو:

- تعاني مصر من أزمةٍ ماليّةٍ وركودٍ منذ عامِ ٢٠٠٠، ولا بدّ لها من طلابِ المعونات.
- يشترط البنك الدوليّ أن يتمّ تدريس الجنس بالمدارس، على أن يمنح (مصر) أربعينَ مليارا من الدولارات.
- لا تجدُ القيادة السياسيّة مفرّا.. ولكنّ تمرير داهية كهذه يحتاجُ لتخطيط معقّد.. لهذا يجبُ توزيعُ الأدوار كالتالي: وزير الجنس يقترح، ووزير الإعلام يروّج، ووزير التعليم يطبّق.. وفي النهاية يبدو أنّ هؤلاء الطراطير الثلاثة أمامنا كأنّهم المسئولون الأساسيّون!
- وحتّى يبدو وزير الثقافة كالغيور على الدين في نظر البسطاء، تمّ تمرير استجواب الروايات الثلاثة، الذي استقبله الوزير بحميّة عجيبة، وأعلنَ في وجه كلّ معارضيه بقوّة إنّ لهذا المجتمع أخلاقا وأعرافا، من أن أرادَ أن يتمرّد عليها فليبحث له عن بلد آخر!!
- وفي غمرةِ سعادةِ الناسِ بهذه الكلمات، يقترح الوزير فجأةً تدريس الجنس بالمدارس، معلنًا أنّه لا حياء في الدين، مع أنّ الرسول (ص) يكذّبه في ذلك، حيث قال "والحياء شعبة من الإيمان"!!
- وحتّى أؤكّد لك أنّ الأمر مدبّر له ولم يكن وليدَ لحظته، سأذكّركَ بأن الوزير أعلنَ على شاشاتِ التلفازِ أنّه قد قرأ المناهجَ وشاهدَ أفلامَ الكارتون التي أعدّت في هذا الصدد!!.. وطبعا تحضير مناهجَ وأفلام كارتون يحتاجُ لوقت.. وإن كنّا نعرف أنّها قادمةٌ مع خبرائها من الغرب!!
- وعلى الفور، بدأت كلّ برامج التلفزيون تلتّ وتعجن في الموضوع، وتمّ زجّ حثالة المجتمع من المأجورينَ والمنحرفينَ والكتّابِ الإباحيّينَ - الذين كان وزير الجنس ضدّهم منذ برهة - ليملئوا التلفاز والصحف بادّعاءاتٍ عجيبة، مفادها أنّ الأزواج في مصر لديهم جهل جنسيّ وممارسات خاطئة، وأنّ المرأة تنفر من العلاقة الزوجيّة لتقزّزها منها، وأنّها لا تحصل على الإشباع في هذه العلاقة.. وهو كلام لا يوجد دليل عليه، ولا يترك لنا سوى ثلاثة احتمالات:

1. أنّه محضُ افتراءٍ وتلفيق، فلا توجدُ أي إحصائيّاتٍ في هذا الصدد، فهـذه أسـرارٌ زوجيّةٌ بينَ الرجل وامرأتِه، لا مجالَ لإعلانِها على الملإ.
2. أنّ هذا الكلامَ ينطبقُ على روّادِ العياداتِ النفسيّة، ولا يجوزُ بأي حالٍ من الأحـوال تعميمه على ملايين الأسوياءِ في مصر.
3. أن هذا هو حالُ من يدّعونَه، وأنّهم لذاك مصابونَ بعقدٍ جنسيّة، يحاولونَ نقلها إلينا!!

- ولم يقفِ الأمرُ عند هذا الحدّ، بل تمّ جلبَ بعضَ الجهلاءِ ليتحدّثوا باسم الدين، ويعلنوا أنّ تدريس الجنسِ في المدارس مباحٌ إن لم يكن فرضًا!!
- وقامَ وزير التعليم بدوره، فتمّ توزيع النشرات التي توضّح خطّة الوزارة لتطوير التعليم، لاستطلاعِ آراء الطلبة فيها، ومن ضمنها بالطبع موضوع تدريس الجنس بالمدارس!

كانَ هذا هو السيناريو الذي استنتجته.. ربّما أكونُ مصيبا، وربّما أكونُ مخطئا، ولكنّ الحماسَ المريبَ والحملةَ الإعلاميّةَ وغسيلَ المخّ الذي صاحبَ هذا الموضوعَ يجبركُ على أن تـشكّ.. على كلّ حال، صحّ ما استنتجته أم لا، فإنّ الأمر جدّ خطير، ويجب أن نقف أمامه بكلّ حزم.. وفيما يلي بيان أسباب ذلك.. ابقَ معنا فما زال الحفل زاخرا بالفقرات!!

وليمة لأعشاب البحر.. وللكفرة والملحدين أيضا[23][1]!!

الرواية في ميزان الإسلام: ساقطة داعرة.. في ميزان العقل: مختلّة فاسدة.. في ميزان الأدب: ضعيفة مهترئة.

23[1] من كتاب "نهاية إسرائيل والولايات المتّحدة" لكاتبه (خالد عبد الواحد)، الفصل المعنون بـ "بل هم فـي شك يلعبون"، المنشور على شبكة الإنترنت في المواقع التالية:

http://www.geocities.com/kalwid/index.htm
http://kalwid.freeservers.com/index.htm
http://kalwid.jeeran.com/index.htm
http://www.freecoolpages.com/thestrip/kalwid/index.htm
http://kalwid.bravepages.com/index.htm
http://kalwid.0pi.com/index.htm

الأستاذ الدكتور (جابر قميحة) أستاذ الأدب العربي

مقتطفات، من مقالات د. محمد عباس في رواية "وليمة لأعشاب البحر":
لا إلـه إلا الله.. من يبايعني على الموت:
الجريمة مستمرة.. ثلاثية الثقافة في (مصر): الكفر والعهر والتطبيع:
يا سيادة الرئيس: الفتنة تطل.. فأطفئها.. يا شيخ الأزهر: دافع عن دين الله.. يا فضيلة المفتي: صمتك مذهل:
بيان مجمع البحوث الإسلامية والأزهر:
القرضاوي يناشد (مبارك) با لتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة:
مقتطفات من حاشية الملف الكامل للرواية على شبكة الإنترنت:
(مصر) الفساد والإفساد:
سبعة كتب مشبوهة للمفكر اليساري خليل عبد الكريم:
أولاً: كتاب (للشريعة لا لتطبيق الحكم):
ثانياً: كتاب (الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية):
ثالثاً: كتاب (الأسس الفكرية لليسار الإسلامي):
رابعًا: كتاب (مجتمع يثرب.. العلاقة بـين الرجـل والمـرأة فـي العهـدين المحمدي والخليفي):
خامساً: كتاب (قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية):
سادساً: كتاب (شدو الربابة بأحوال الصحابة):
سابعًا: كتاب (فترة التكوين في حياة الصادق الأمين):
بين الإبداع والحرية:
جولة الصحافة: الجزيرة نت: ثورة المشايخ
(يَخْشَوْنَ الناسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَد خَشْيَةً):
تعقيب:
سأستمرّ:

مقتطفات، من مقالات د. محمد عباس في رواية "وليمة لأعشاب البحر"[٢٤][2]:

لا إله إلا الله.. من يبايعني على الموت؟

تبّت أيديكم.. لم يبق إلا القرآن.. ماذا لو قلنا إن رئيس الوزراء خراء؟!

د. (محمد عباس)، صحيفة الشعب: ٢٠٠٠/٤/٢٨

لا إله إلا الله.. بكيت.. لم يكن طول الجرم بالمسافة بل بالزمن.. جرم طوله ألف وخمسمئة عام.

صرخت: تبت أيديكم.. أيما كنتم.. وأينما كنتم.. وأيما أنتم.. وأيا كان من وراءكم.. يا كلاب النار يا حطب جهنم!

أمسكت بالهاتف واتصلت بصديق كي أبثه همي.. استطعت بعد جهد جهيد، أن أقرأ للصديق بعض الجمل، التي انصبت على جسدي كالنار.. كرصاص منصهر.. طفحت من كتاب داعر فاسق فاجر كافر.. طبعته لنا ونشرته بيننا وزارة الثقافة المصرية.. وليس الإسرائيلية ولا الأمريكية!!

حرون هو القلم في يدي.. وقلبي لا يطاوعني، أن أنقل لكم الكلمات الفاسقة الداعرة الكافرة، التي أوردها كتاب فاسق داعر كافر.. نشرته هيئة لابد أن تكون فاسقة داعرة كافرة، تحت رئاسة مسئول لابد أن يكون داعرا فاسقا كافرا!!

إليكم بعض ما طبعته ونشرته وزارة الثقافة المصرية:

"وهؤلاء يهمشون التاريخ ويعيدونه مليون عام إلى الوراء، في عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر، يحكموننا بقوانين آلهة البدو، وتعاليم القرآن.. خراء".

لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.

[2]24 موقع الملفّ كاملا على شبكة الإنترنت:

http://www.saaid.net/mktarat/almani/19.htm

صرختْ فيَّ نفسي: كيف يا صفيق قرأتها فلم تمت على الفور.. كيف؟
تراءى لي الرسول صلى الله عليه وسلم، يناظرني معاتبا يوم القيامة، فصرخت من الخجل.
تراءى لي (الزبير بن العوام)، يهتف صارخا في حروب الردة: "من يبايعني على الموت؟"
تراءى لي ملايين وملايين من الشهداء والصابرين.. بذلوا حياتهم واحتسبوا صبرهم، لتقديس اسم الله ورفع كلمته.. ثم أتى الشيطان ليكتب ما يسميه كتابا، تعتبره وزارة الثقافة المصرية – وهى الأخرى شيطان – أدبا، فتنشره على الناس كي تنوّرهم!!!!
وزارة الثقافة المصرية في بلد الأزهر، و(صلاح الدين) و(قطز) و(خالد الإسلامبولي)، تنشر يا قراء كتابا يدعى أنه رواية، يقول: إن القرآن خراء.. ثم لا يلبث أن يقول: إخرأ بربك.
لا إله إلا الله ... أول مرة ألقى مثل هذا الألم في حياتي.
ولا حتى استدراجنا كقطيع من الخراف إلى مقتلة الخليج.. حين اندفع بالشرك والغباوة والخيانة والجهل والنفاق نصفنا يقتل نصفنا.. كقطيع.. قطيع من الخراف يندفع إلى المجزرة، وهو فرح بها نشوان!!
ولا حتى عندما حمل السادات، كفننا وكرامتنا وتاريخنا، ليذهب مذموما مدحورا إلى القدس!!
ولا حتى مع الذبح اليومي الذي نشارك فيه للعراق.. ولا حتى يوم موت أبى.. أبدا.. لم أشعر بمثل هذا الألم.
القرآن.. خراء!!!
ملاذنا الأخير ينتهك ويهان.
كان صديقي ما يزال على الهاتف.. وكنت ما أزال أبكى وأنا أقرأ له، مما نشرته وزارة الثقافة المصرية.. رائدة التكفير لا التنوير:

"الله قال انكحوا ما طاب لكم، رسولنا المعظم كان مثالنا جميعا ونحن على سنته.. لقد تزوج أكثر من عشرين امرأة بين شرعية وخليلة ومتعة".

ثم يستطرد الكتاب الفاجر الكافر، الذي يلبس عباءة رواية وليس برواية، إلا في عقول شاذة مريضة، سعت وتسعى إلى نشر الكفر والفاحشة.. يستطرد مجترئا على الذات الإلهية، ليقول:

"إن رب هذه الأرض كان يزحف وهو يتسلل من عصور الرمل والشمس ببطيء السلحفاة".

ويسوق في حوار فاجر كافر:

"هو من صنع ربي".

"لا بد أن ربك فنان فاشل إذن".

لا إله إلا الله.

ويقول الفاجر الفاسق الكافر: مؤلفا وطابعا وناشرا ووزارة:

"داخل هذه الأهواز التي خلقها الرب، في الأزمنة الموغرة في القدم، ثم نسيها فيما بعد لتراكم مشاغله، التي لا تحد في بلاد العرب وحدها، حيث الزمن يدور على عقبيه منذ ألفي عام".

"أقام الله مملكته الوهمية، في فراغ السماوات".

"وخلع الجلد المتخلف والبالي، الذي خاطه الإسلام فوق جلودنا القديمة".

"إن حبل السرة، ما يزال موصولا مع الأزمنة الرعوية، وأزمنة عبادة الله الواحد القهار في السماء والأرض، وذلك الذي يقول للشيء كن فيكون".

آه ينصدع لها القلب، وينحطم الفؤاد، وتنكسر الروح.

برح الخفاء يا ناس، وهذا وقت المفاصلة، إما إيمان وإما كفر.

للوهلة الأولى.. والدوار يكتنفني، قلت لنفسي: اذهب إلى الأزهر على الفور، واصعد منبره واصرخ: من يبايعني على الموت؟!

ثم آخذ الرهط الذي يجتمع حولي، وأتوجه بهم إلى قصر الرئيس (مبارك).. عراة صدورنا، نازفة قلوبنا، دامعة عيوننا، عُزّل أيدينا.. نسأله والسؤال دم:

ما هي الحدود بين الإسلام والكفر؟.. ما هي التخوم بين التنوير والتعهير؟.. ما هى الطخوم بين تجفيف المنابع والخروج من الملة؟.. ما هي البيون بين أن تكون (مصر) قائدة للتنوير حقا يرتضيها العرب والمسلمون، وبين أن تكون قوادة للكفر والفسوق والعصيان؟

نهتف فيه:

أنت ولى الأمر ... وليس لنا أن نقيم الحد على الفجرة الكفرة الفسقة بأيدينا.

تسلل إلى نفسي أمل ميت.. أن يكون ثمة لبس قد حدث أمام صحيفة "الأسبوع"، عندما فجرت هذه الفضيحة منذ أسابيع قليلة.. لعل الكتاب طبع في (إسرائيل) مثلا!!.. وقلت لنفسي أن الإسلام يأمرني بالتثبت.. بحثت عن الكتاب.. ووجدته:

وليمة لأعشاب البحر.. (حيدر حيدر).. سلسلة "آفاق الكتابة".. العدد ٣٥ - "الهيئة العامة لقصور الثقافة".. وعنوانها كما هو مثبت: "١٦أ شارع أمين سامي - قصر العيني - القاهرة".

أما الطابع فهو: "شركة الأمل للطباعة والنشر".

أما قائمة العار الدنسة المكتوبة على صفحات الكتاب الأولى، فتجمع: رئيس مجلس الإدارة: (على أبو شادي)، أمين عام النشر: (محمد كشيك)، رئيس التحرير: (إبراهيم أصلان)، الإشراف الفني: د.(محمود عبد العاطي)، مدير التحرير: (حمدي أبو جليل).

لا إله إلا الله.

كنت أظن أني محتاج لقراءة الرموز بين السطور، كي أكشف الشرك الخفي.. حتى جاء هذا الكتاب، وفجرت صحيفة "الأسبوع" قضيته.

ليس الشرك الخفي بل الكفر البواح!!

هو الخيانة لله ولرسوله.. هو الخيانة للأمة وللوطن.. هي العمالة الصريحة المباشرة لـ(أمريكا) و(إسرائيل).

هو التسلل إلى عقول أبنائنا، لإخراجهم من الإسلام تماما، كما قال (زويمر)[25][3].. هو نشر الإباحية والسفالة والشذوذ، وقتل روح الأمة.

إن العار لا يلحق بوزارة الثقافة فقط. فتضامن المسؤولية الوزارية، يجعل مجلس الوزراء كله مسئولا، وكل وزير مسئول.. ورئيس الوزراء مسئول.. و.... !!

لكن الفاجر يكتب، والفاجر ينشر أن القرآن خراء.. واخرأ بربك. ثم يجد من يدافع عنه!!!!!!

أما من وزير يستقيل؟!

لا إله إلا الله.

يا جلالة ملوك وفخامة رؤساء الدول الإسلامية.. لطالما تعاونتم على الإثم والعدوان.. فتعاونوا ولو مرة للدفاع عن القرآن.. اطلبوا الرئيس (مبارك) اليوم.. قولوا له أن ما نشرته وزارة الثقافة المصرية، لم يذبح المسلمين في (مصر) فقط، بل في العالم الإسلامي كله.. من لم يفعل منكم ذلك، فليأت الله يوم القيامة والقرآن خصمه!

من كان منكم يحب الله والرسول، فليدافع عن القرآن.

من كان منكم مذنبا فليكفر عن ذنوبه، بالدفاع عن القرآن.

يا شيخ الأزهر.. يا فضيلة المفتي.. يا شيوخ الأزهر، ويا طلبة جامعة الأزهر.. يا خطباء المساجد ... لا إله إلا الله.

يا كل هيئة ومؤسسة وصحيفة في العالم الإسلامي.. اكتبوا أنهم في بلد الأزهر، ينشرون أن القرآن خراء.

---

[3]25 قال (صموئيل زويمر) رئيس جمعيات التنصير في مؤتمر (القدس):

إنكم إذا أعددتم نشئا لا يعرفُ الصلةَ بالله، ولا يريد أن يعرفَها، أخرجتم المسلم من الإسلام، وجعلتموه لا يهتمّ بعظائمِ الأمور، ويحبُّ الراحةَ والكسلَ، ويسعى للحصولِ على الشهواتِ بأي أسلوبٍ، حتى تصبحَ الشهواتُ هدفَه في الحياةِ، فهو إن تعلّم فللحصولِ على الشهوات، وإذا جمع المالَ فللشهواتِ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، إنه يجودُ بكلِّ شيءٍ للوصول إلى الشهواتِ!

أيّها الشيخ (يوسف القرضاوي).. دافع عن القرآن بما أنت له أهل.. إن الأمة تنتظر فتواك في كل مسئول عن نشر هذا الكتاب.. أصرخ فيك.. أهتف فيك: (مصر) لم تعد بخير.. (مصر) لم تعد بخير.. (مصر) لم تعد بخير ... فالنجدة النجدة والغوث الغوث ... فإنه القرآن ... ولا إله إلا الله.

يا سيادة الرئيس ... أطفئ الفتنة.

واعلم هدانا وهداك الله، أن الأمر ليس أمر وزير فاسق أو وزارة فاجرة، بل هو منهج مشرك تسلل إلى النظام.. مسئوليتك أمام الله أن تزيله، وأن تحاربه حتى لو استشهدت دونه.. منهج مشرك لا يقتصر على وزارة ولا يقوم به مجرد أفراد[٣٦][4]**.**

واعلم هدانا وهداك الله، أن مثل هذا المنهج الفاجر، هو الذي يغيب في السجون والمعتقلات عشرات الآلاف من شباب، لم يأخذوا عليهم سوى أن الإسلام دينهم والقرآن كتابهم.. بينما يرى ذلك المنهج الخائن الفاجر الكافر العميل، أن القرآن خراء ... وذلك ما ينقمونه عليهم.

واعلم هدانا وهداك الله، أن أسوأ ما تفعل أن تكتفي، بإقالة وزير أو تنحية مسئول[٣٧][5]**!!**

فالخطب أطم والمصيبة أعم.

قل لي يا سيادة الرئيس: هل ترضى لعهدك – دون العهود جميعا – أن تصمه هذه الوصمة.. فالقرآن لم يتعرض لمثل ما يتعرض له الآن.. أبدا.. ولا حتى في عهد (كرومر)!!.. بل وحتى الفراعنة كانوا يقدسون كتب الدين!

---

[26][4] كانت هذا الكلمات المسامير في نعش صحيفة الشعب، خاصة مع موقفها مـن إعـادة ترشـيح رئـيس الجمهوريّة للفترة الرابعة، حيث تمّ تلفيق تهمة مغرضة لها وإغلاقها.. أمّا كلّ شيء فقد ظلّ كمـا هـو فـي وزارة الثقافة، إلى أن تبع ذلك بعام فضيحة مصادرة بوليس الآداب لثلاث روايات أصدرتها الـوزارة، ومـا تلاها من استجواب في مجلس الشعب، سارع إثره الوزير الملعون بإجراء بعض التغييـرات الوهميّـة فـي الوزارة، تبعها بمشروع تدريس الجنس في المدارس!!!!!

[27][5] !!!!!!!!!

قل لي يا سيادة الرئيس: هل كانت الدولة تسكت لو أن من كتب هذا الكتاب، أو طبعه، أو نشره ووزعه، كان قد وضع الإنجيل أو التوراة مكان القرآن؟!.. ما كانت الدولة لتسكت.. وما كنا نحن أيضا سنسكت[٣٨][6].

يا سيادة الرئيس: إنك مسئول عن هذه الفئة المنحرفة الشاذة.. مسئول أمام الأمة وأمام التاريخ وأمام الله.. إن القانون في (بريطانيا) يحمي الإنجيل والتوراة.. وأخوتنا المسلمون هناك يجاهدون لمدّ مظلة الحماية إلى القرآن.. فهل ترضى لنفسك أن نجاهد أمامك لسن قانون يحمي القرآن؟!

يا سيادة الرئيس: إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه.. وإني والله لمشفق عليك من أن تلقاه وهذه الفعلة الشنعاء في كتابك. توضع في ميزانك. وما أثقلها.. ما أثقلها.. ما أثقلها!

وإنني أناشدك يا سيادة الرئيس .أبيت اللعن .أن تطفئَ لهيب الفتنة ببيان يصدر عن الرئاسة اليوم.. بيان استغفار إلى الله.. واعتذار إلى الأمة.

فإن لم تفعل يا سيادة الرئيس.. فإنني أرجوك: مر رجالك بقتلي.. قتلة غلام أهل الأخدود.

الجريمة مستمرة.. ثلاثية الثقافة في (مصر):

الكفر والعهر والتطبيع..

هل الله جليسة أطفال.. ويعلمنا الحب؟!.. وهل الأنبياء آبقون؟!

د. محمد عباس، صحيفة الشعب: ٢٠٠٠/٥/٥م

الجريمة مستمرة ... وسوف تخطئون خطأً مروعا، إذا ظننتم أنه مجرد كتاب داعر فاجر كافر أفلت.. وأن الأمر قد لا يتكرر مرة أخرى.

---

[6]28 ولا كانت (أمريكا) ستسكت!

ليس مجرد الكتاب بل إنه المنهج.. منهج متعمد مقصود.. منهج أخطبوطي ينفذ بالضبط تعاليم المستشرقين والمبشرين، والاستعمار في صورته الحديثة.. منهج يدرك أن أخطر ما في الإسلام والقرآن هو ذلك الإيمان اليقيني، الذي يجعل من المسلمين بشرا يمكن أن يتفوقوا حتى على الملائكة، ويجعل من المنافقين أشبه بالخنازير والقردة.. وتلك هي النقطة التي تثير عجب وحنق المنافقين، عندما يلاحظون استعلاءنا عليهم، مهما أدبرت عنا الدنيا وأقبلت عليهم.. استعلاء البشر على الخنازير.. ولقد أدرك الغرب منذ قرون، أنه هزم في المواجهة المسلحة مع الحضارة الإسلامية.. وأنه لا سبيل أمامه إلا إفراغ الإسلام من محتواه.. ولقد استعان على ذلك حينا بالاستعمار، حتى اطمأن إلى أنه ربّى بيننا نخبة فاسدة مفسدة، فتركها لتنوب عنه.. وهم منا لكن قلوبهم قلوب ذئاب.

ليس مجرد كتاب يا أمة.. الجريمة مستمرة ولا إله إلا الله.

الجريمة مستمرة ... والثقافة في بلدنا تهدف إلى ثلاثة أشياء لا تنسوها:

أن تكون حرية التفكير مرادفة للكفر.

وأن تكون حقوق المرأة مرادفة للعهر.

وأنه بعد نشر الكفر والعهر سيكون المجتمع الإسلامي، قد غرق في غيبوبة فقد معها كل مناعة.. ليسهل التطبيع بعد ذلك مع إسرائيل والانسحاق أمام الغرب.

الجريمة مستمرة يا ناس.. وسأعرض عليكم على الفور نماذج لا تقل سفالة وبشاعة، عما عرضت عليكم في المقالة الماضية. فلنتناول معا كتابا أخرجته وزارة الثقافة أيضا، الهيئة العامة لقصور الثقافة في سلسلة "كتابات نقدية"، العدد ٩٧، ديسمبر ٩٩، والكتاب معروض، عند باعة الصحف، وإن كنت أحسب أن السيد الوزير، الذي يطلقون عليه (زين الرجال) سوف يأمر بسحبه غدا، قبل انتشار الفضيحة.. عنوان الكتاب: "شعر

الحداثة في (مصر)".. وقائمة العار للهيئة المشرفة عليه هي ذات قائمة العار، التي نشرناها في الأسبوع الماضي وعلى رأسها أيضا: (علي أبو شادي).

ولقد وفّر علينا (إدوارد الخراط) مؤونة البحث في عشرات، من إصدارات وزارة الثقافة المصرية، لعشرات الشعراء المصريين – وأغلبهم والله ليسوا شعراء، وليسوا بشرا – حين استعرضها في هذا الكتاب: ٧٠٠ صفحة تقريبا.. وسعره خمسة جنيهات.. وتذكروا يا قراء أن هذه الكتب هي التي يخرءونها – إذا صح التعبير – لتشكيل وجدان الأمة.

فلندلف معا إلى كلمات السفالة والشذوذ والكفر البواح.. فلندلف دامعين إلى السخرية من الذات الإلهية والمرسلين.. فلندلف إلى محاكاة هازلة هازئة كمحاكاة مسيلمة الكذاب.. فلندلف إلى خيوط الشبكة التي يصطادون بها الأمة.. إلا أنني أجد لزاما عليّ أن أنبه القراء، أن ما سيقرؤونه على الفور بالغ الفحش، وأن يبعدوه عن أيدي أبنائهم.

....٣٩[7]

ويستطرد الكاتب قوله:

هذا هو تنوير وزارة الثقافة المصرية، يا مسلمون ويا عرب.. هذا هو ما يحاربون به الإسلام.

يا (عاطف عبيد).. هذا هو الفجر بعينه.. فُجر فاجر وعُهر عاهر، لا يرعاه إلا فاجر وعاهر.. وتذكّر.. أن من ولّى أمر المسلمين فاجرا فهو فاجر مثله!!

تصورت يا ناس أن نشر المقال، سيسفر عن نسف كل مؤسسات وزارة الثقافة على الفور!

---

[7]29 لم نشأ أن نورد شيئا مما اقتبسه المؤلف من أمثلة على شعر الحداثة في (مصر) ... حيث أن ما يطرحونه من تصويرات وتشبيهات، تقشّر منها جلود الذين كفروا، وهي لا تقل سفالة وانحطاطا عن الرواية السابقة بل تفوقها أحيانا. تستطيع الإطلاع على ما لم نقم بإيراده هنا، مما اقتبسه كاتب المقال، وشيوخ الأزهر في تقاريرهم من نصوص، على موقع الملف على شبكة الإنترنت.. ولكي تحاول أن تتخيّل محتوى هذه المزبلة، يجب أن تضع في ذهنك الخطوط العريضة التالية: جنس.. شذوذ.. ابتذال.. قرف.. سبّ المقدّسات.

لكن تصوُّري كان أملا جهيضا في القلب.. وعلى العكس.. وجدت من (المثقفين) و(النخبة) من يدافع عن الكفر البواح!!

لقد احتفظت حضارتنا بتراث أوغل في الفحش بل والكفر.. ونذكر أبي نواس والأغاني والفرق المختلفة التي زاغت عن الإسلام.. كان المجرى الرئيسي للنهر سليما، ولم يكن يضره كثيرا أن يبول كلب أو خنزير فيه.. لكن عندما يكون الماء راكدا.. وليس لدينا سوى كوب من الماء، ونحن تائهون في البيداء في الهجير، فكيف نسمح للكلاب أن تبول في مائنا الأخير؟؟؟!!!

لا إله إلا الله.. يا سيادة الرئيس: الفتنة تطل.. فأطفئها.. يا شيخ الأزهر: دافع عن دين الله.. يا فضيلة المفتي: صمتك مذهل!!

د. (محمد عباس)، صحيفة الشعب: ١٢/٥/٢٠٠٠م

إن وزيرة في الحكومة المصرية، هي التي صرحت أن ١٧٪ من طالبات الجامعة، قد تزوجن زواجا عرفيا.

فكم يا ترى أولئك اللاتي لم يحتجن إلى ورقة توت مغشوشة يغطين بها سوءاتهن؟؟!!!

ولماذا نندهش لذلك إذا كانت مطبوعات وزارة الثقافة، تتدنى حتى تنشر الفسق والفجور، وتصف بعهر كل ما يهدم القيم والثوابت؟؟!![30][8]

لماذا نندهش عندما تتحدث بعض الدراسات، إلى أن أكثر من ٥٠٪ من طلاب الجامعة يتعاطون البانجو؟؟!!!

وبرغم ذلك كله، فإن اعتراضنا على تشبيه القرآن بالخراء، لم يتركّز على المؤلف ولا على روايته.. فليذهب إلى الجحيم ما دام قد اختار الطريق إليها.. لقد انصب اعتراضي على قيام وزارة الثقافة المصرية، بإعادة نشر الرواية

---

[8]30 لا تنس الدور الأساسيّ والمحوريّ للتلفزيون.. ولكن يبدو أنّه حتّى د. (محمّد عباس) من فرط اعتيـاده على ما فيه لم يعد يعتبره شيئا ذا بال!!!!

في (مصر).. والرواية التي تباع في الأسواق بثلاثين أو أربعين جنيها، دعمتها وزارة الثقافة حتى بيعت بأربعة جنيهات.. هل هذا هو الفكر الذي ننقله ونعلمه لأبنائنا؟؟!!!

نعم.. كذب المسؤولون في وزارة الثقافة وكانت مجلاتهم وصحفهم تكذبهم.. لقد صرحوا بأن الرواية مسموح بها في كل الدول العربية.

لكن أخبار الأدب: تذكر بالنص على لسان (حيدر حيدر): عشت في بيئة تحاربني على المستوى الديني، ولا يقولون أنني علماني ولا عقلاني وتنويري بل يقولون ملحد!

ويسألونه: هل كنت تجد صعوبة في نشر أعمالك؟.. فيجيب: صعوبة شديدة جدا ... فقد عشت أنا وكتبي، في حالة منع مستمر من بلاد عربية كثيرة.

اقرءوا أيضا في نفس العدد من أخبار الأدب، تعليق الأستاذ (محمود أمين العالم): أخذت أقلب بين يدي رواية "وليمة لأعشاب البحر" أو "نشيد الموت" بحثا عن اسم ناشر أو مطبعة فلم أجد، وأخيرا علمت أن دور النشر العربية جميعا، رفضت نشر هذه الرواية فقام هو بطبعها على نفقته، ولكن يبدو أن المطبعة التي قامت بطبع هذه الرواية، قد آثرت هي أيضا السلامة فاكتفت بالطبع وامتنعت عن ذكر اسمها!!!.. صدرت الرواية مجهّلة إلا من اسم مؤلفها!!.. ولقد علمت كذلك، أن الرواية تكاد تعتمد في توزيعها على اليد، وعلى العلاقات الشخصية كما توزع المخدرات أو المنبهات المحظورة!!!

فلماذا كذبت أجهزة وزارة الثقافة.؟!

لماذا يُكذب الوزير نفسه كل يومين.. لقد صرح أولا بأن الرواية مصادرة، منذ منتصف نوفمبر الماضي.. وفى نفس يوم نَشْرِ بيانه، كان بيان علي (أبو شادي) يقول: أن الرواية صدرت في منتصف نوفمبر، أي بعد ظهور الدخان بأسبوعين!!

لماذا حاول الوزير باستمرار أن يخلط بين طبعة مصرية، هو الذي أصدرها ورعاها وباعها بعشر ثمنها، وبين طبعات لبنانية لم نسأله ولم نطلب

حسابه عنها، رغم أنه بحكم مسئوليته الوزارية، مسئول عما يدخل إلى البلاد من عناصر الثقافة؟؟؟!!!

إن القانون الإنجليزي مثلا يُجرّم الاعتداء على التوراة والإنجيل.. وهم لا يعتبرون القرآن كتابا سماويا مقدسا.. هم وشأنهم.. لكن ألا يحقّ للقرآن في بلاده أن يقدّس؟؟؟.. لقد منع فيلم العشاء الأخير للمسيح في (لندن)، وخرجت المظاهرات تحطم دور السينما التي تعرضه في باريس.

لماذا لجأ بعض مثقفينا المدافعين عن وزارة الثقافة إلى هذا الهجوم الضاري؟

لماذا اعتبرتم (فاروق حسني) فرعونكم، فَرُحتم كالكهنة القدامى تدعون لعبادته من دون الله؟

وأقول لكم على الرغم مني يا ناس، أنهم حققوا بعض النجاح في خطتهم.. فقد وعدتكم في الأسبوع الماضي، أن أتناول اليوم كتابا من كتب وزارة الثقافة، تدعو فيه كاتبته، إلى تعديل القرآن، كي يتوافق مع النظام العالمي الجديد ومواثيق حقوق الإنسان!!!!

وأن هؤلاء الناس ينظرون إلى الإسلام وإلينا، كما ينظر مبدعهم (حيدر حيدر) الذي يقول في صفحة ٥١٠، من كتابه الملعون:

"ضحك الرجل وهو يرمم جثة البدوي فيه: لكنني ملحد كما تعرفين.. الشرف وأخلاق المسلمين في مؤخرتي من عشرات الأعوام".

لا تعترضوا يا قراء.. فنقادنا الجهابذة يرون أن هذا الكلام السافل البذيء إبداع!!

بيان مجمع البحوث الإسلامية والأزهر:

الأزهر / مكتب الإمام الأكبر / شيخ الأزهر، بيان مجمع البحوث الإسلامية:

تم عرض موضوع الرواية المشار إليها على لجنة البحوث الفقهية، فكلّفت اثنين من أعضائها المتخصصين، بكتابة تقريرين منفصلين عن الرواية، لعرضها في جلسة استثنائية لمجمع البحوث الإسلامية، حُدّد لها يوم الأربعاء ١٧ مايو سنة ٢٠٠٠، وقد تم عرض هذين التقريرين والرواية على المجمع في جلسته الاستثنائية، وتبين ما يأتي:

أولا: أن وزارة الثقافة التي نشرت هذه الرواية، لم تستطلع رأي الأزهر الشريف أو مجمع البحوث الإسلامية، مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة، وذلك على خلاف ما يقضي به القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١.

ثانيا: إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات، التي تحقّر وتهين جميع المقدسات الدينية، بما في ذلك ذات الله سبحانه وتعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم واليوم الآخر والقيم الدينية.

ومن ذلك أنها تستهزئ بذات الله، مثل وصفه بأنه فنان فاشل (ص: ٣١٩) وأنه نسي بعض مخلوقاته، من تراكم مشاغله التي لا تحد في بلاد العرب وحدها (ص: ٣٥٧)، وأنه أقام مملكته الوهمية في فراغ السماوات ليدخل في خلود ذاته بذاته (ص: ٤٣٦).

كما يفتري على الرسول عليه الصلاة والسلام، بأنه تزوج أكثر من عشرين امرأة، ما بين شرعية وخليلة ومتعة (ص: ١٤٨)، وأنه كان يتزوج من عذارى القبائل بغية توحيدها (ص: ٤٣٦، ٤٣٧).

وأنه حرّف في آيات القرآن الكريم، ونسب إليه ما ليس منه، كقوله: "والله تعالى قال في كتابه العزيز:.. إذا بليتم بالمعاصي فاستتروا".. (ص: ١٤٨).

كما أن الرواية تحرّض صراحة، على الخروج على الشريعة الإسلامية وعدم التمسك بأحكامها، وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين والله والأخلاق والتقاليد والأزمنة الموحلة، والجنة والجحيم الخرافيين، وطاعة أولى

الأمر والوالدين، والزواج المبارك بالشرع، وسائر الأكاذيب والطقوس التي رسمتها دهور الكذب (ص: ٣٤٨).

ثالثا: إن الرواية خرجت على الآداب العامة خروجا فاضحا، وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع، واستعمال الألفاظ في الجماع، وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى، بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها، وكتابة نصها حفظا على الحياء العام الذي انتهكته الرواية.

رابعا: إن الرواية لم تكتف بذلك، بل حرّضت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب، ووصفتهم بأقبح وأقذع الأوصاف، مما يعف المقام عن ذكرها، وطالبت بالخروج عليهم والثورة ولو بإراقة الدماء.

خامسا: اتضح لمجمع البحوث الإسلامية من كل ما سبق، أن ما ورد برواية وليمة لأعشاب البحر، خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وينتهك المقدسات الدينية والشرائع السماوية، والآداب العامة والقيم القومية، ويثير الفتن ويزعزع تماسك وحدة الأمة، التي هي الركيزة الأساسية لبناء الدولة، ويضع على عاتق من نشروا هذه الرواية، دون استطلاع رأي أهل الاختصاص المسؤولية الكاملة، عن هذا التجاوز والآثار المترتبة عليه دينيا واجتماعيا، وذلك على النحو الموضّح تفصيلا بالتقريرين المقدمين، من عضويّ مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما.

والله ولي التوفيق.

تحريرا في ١٣ من صفر سنة ١٤٢١ هـ. الموافق ١٧ من مايو سنة ٢٠٠٠ م، شيخ الأزهر: الدكتور محمد سيد طنطاوي.

القرضاوي يطالب (مبارك) بالتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة:

"كُلُّ ما في وليمة لأعشاب البحر مُنكر"

ناشد فضيلة العلامة د. (يوسف القرضاوي) الرئيس المصريّ (حسني مبارك)، أن يتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة عند حدّها، وشدّد فضيلته على أهمية الحرص على وحدة الأمة، كما حيّا شيخ الأزهر والأزهر، ورئيس جامعة الأزهر والطلاب والطالبات، الذين وقفوا موقفا موحدا ضد رواية "وليمة لأعشاب البحر"، التي طبعتها وزارة الثقافة المصرية، وتسببت في حالة الهياج التي شهدها الشارع المصري مؤخراً.

واعتبر د. (القرضاوي) في خطبة الجمعة أمس، أن الرواية تدخل في باب الكفر، مستنداً في ذلك على بيان الأزهر الشريف، ورأي فضيلته أن هذا العمل كفر بغض النظر عن الأشخاص، واعتبر من قاله ورضي به كافرا.

وبعد انتهاء الخطبة، اتصلنا بفضيلته، وسألناه عن مدى دخول هذا العمل الروائي في باب الكفر فأجاب:

إن بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، يدل على أن هذا من الكفر، لأنه خروج على ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وانتهاك للمقدسات الدينية والشرائع السماوية، وهذا واضح لكل من قرأ الرواية، لما فيه من ازدراء واستخفاف بالألوهية والقرآن والرسول والقيم الدينية كلها في مواضع شتى

وأضاف: ونحن نقول: إن هذا العمل كفر بغض النظر عن الأشخاص، فمن قاله واعيا متعمدا ذاكرا فهو كافر، ورضي به وهو يعلم هذا فهو كافر، ومن كان يجهل بما فيه ثم أُعلم بمضمونه ورضيه فهو كافر، هذا هو الحكم الشرعي..

أما الحكم على الأشخاص، فلا ندخل فيه فهو يحتاج إلى تحقيق وقضاء.

مقتطفات من حاشية الملف الكامل للرواية على شبكة الإنترنت:

بقلم د. محمد عباس:

كانت صحيفة "الأسبوع"، أول من تعرّض بهدوء للموضوع، ولو أن في أجهزة وزارة الثقافة من يرى ويحس ويسمع، لاستدركوا الأمر ولداروْا عورتهم، وكان يمكن للأمر أن ينتهي باعتذارهم واعترافهم بالخطأ، لكن الله شاء للأمور أن تتخذ مجرى آخر كي يفضحهم على الأشهاد. لقد استنكروا علينا حدة أسلوبنا، فماذا فعلوا عندما نشرت "الأسبوع"، يوم ٢٠٠٠/٣/٢٨م مقالا صغيرا بقلم حسن نور، يعترض فيه على قيام وزارة الثقافة بنشر الرواية؟؟

لمدة شهر ونصف بعد ذلك لم تتدارك وزارة الثقافة الأمر.. وبدأت "الشعب" تناول القضية يوم ٢٠٠٠/٤/٢٨م بعد بداية النشر في "الأسبوع" شهرين كاملين.

في البداية، حاولت وزارة الثقافة التنصل من الأمر كله.. وقد أوردت "أخبار الأدب": العدد ٣٥٦ ص٦ ذلك بالتفصيل في مقال (وائل عبد الفتاح)، عن تصريح وزير الثقافة المنشور في "الأهرام" في ٢٠٠٠/٤/٣٠م وهو أن الهدف من اللجنة العلمية التي شكلها: "التحقيق في ظهور طبعة لبنانية، من رواية وليمة لأعشاب البحر منسوبة لوزارة الثقافة"!!.. ويستطرد الكاتب أنه يبدو أن الوزير وجدها "واسعة"، فغير أقواله بعد ذلك!!

نفس الخبر نشرته بتفصيل أكثر صحيفة آفاق عربية، في عدد ٤ مايو ص١١، تحت عنوان: وزارة الثقافة تزعم أن جهة مجهولة نشرت الرواية ونسبتها إليها!!

كان التخبط هائلا وشمل الجميع، فرئيس الوزراء على سبيل المثال صرح: أنه استعان بخبير أجنبي لمواجهة الأزمة!!، كما نشرت صحيفة "الوفد"، وصرح الدكتور (أحمد فتحي سرور) بأنه طلب تقريرا عاجلا، لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة ومحاكمة المؤلف طبقا للقانون الدولي!

كانت الأمة تغلي بالغضب، وكان قلبها متمثلا في طلبة جامعة الأزهر، حيث تظاهر ٣٥ ألف طالب، وكانت الدولة مترددة حتى حسمت أمرها بإطلاق الرصاص.. على قلب الأمة.. على طلبة جامعة الأزهر!!

وأصبح من المستحيل مواصلة استطلاع الرأي، تحت التهديد بإطلاق الرصاص مرة أخرى، وبلغ النفاق ببعض التنويريين ومدعي الإبداع، الذين أجازوا الاجتراء على الله، أن وجهوا اللوم لصحيفة "الشعب"، ولحزب العمل ولشخصي الضعيف، فنحن الذين حرضنا، ونحن الذين أخرجنا الطلبة، فتسببنا فيما حدث لهم، أكثر من مائة جريح، منهم خمسة فقئت عيونهم.

وجهوا اللوم لنا، ولم يجرؤ منهم أحد على توجيه اللوم على المعالجة الأمنية الخاطئة.. لا تعقيب على الأمن وكأنه القدر بل أكثر من القدر، لأننا في القدر نسأل الله اللطف فيه، وهم لم يسألوا أجهزة الأمن اللطف!!

وهذه الواقعة وحدها كانت كافية لفضحهم تماما ونهائيا أمام الأجيال وأمام التاريخ، لكن هذه الفضيحة لا تنفجر ولا تأتي بالتأثير المتوقع، بسبب تهديد جاثم مستمر بإمكانية إطلاق الرصاص في أي وقت.

بعد ما حدث لطلبة جامعة الأزهر، خفتت أصوات معظم الغاضبين لدينهم، وارتفعت أصوات الحيدريين وأصبح الكذب مجانيا، خاصة عندما أقدمت السلطة على عقاب صحيفة الشعب التي دافعت عن المقدسات، وأصبح الاجتراء على الذات الإلهية إبداعا وتقدما واستنارة، وفي نفس الوقت، أصبحت إدانة وزير الثقافة الباقي في مكانه منذ أربعة عشر عاما .رغم كل ما أثير حوله . إرهابا وظلامية وتخلفا!!

ووقف الوزير الذي قلت تناقضات تصريحاته، بعد أن اطمأن إلى تدعيم الدولة له، ليصرح أن (مصر) دولة علمانية. وارتفعت أصوات تنادي بإلغاء المادة الثانية في الدستور والتي تنص على إسلامية (مصر)[٣١][9]، ونشرت صحيفة

31[9] يا ليت.. على الأقلّ حتّى لا ينخدع السذّج والبسطاء بهذا العبارة الفارغة من المضمون، والتي لا يوجد لها أيّ تطبيق واقعيّ!!

"الحياة" اللندنية مقالا لكاتب، ظن أنه يفحم الإسلاميين بقوله: إنه إذا كان علينا أن نحترم التراث، فليس علينا أن نحترم التراث الإسلامي فقط، بل علينا أن نعطي اهتماما مساويا لـ(مصر) المسيحية والفرعونية.. كان الإسلام بالنسبة للمسكين تراثا .مجرد تراث .لم يكن دينا!!

وبدا أن هؤلاء الناس وأقرانهم في (مصر)، ينظرون إلى الإسلام تماما كما ينظر له المتعصبون من المستشرقين، فالقرآن من تأليف (محمد) صلى الله عليه وسلم، أما هو نفسه فكذاب .أستغفر الله العظيم .وأن أولئك التنويريين، قد ابتلوا بمجموعة من المتخلفين أمثالنا!!

نظر كلاب جهنم إلى الدين، كما لو كان مرضا كلّفهم الشيطان بالقضاء عليه، وبدا لهم أنهم كلما أوشكوا على إنجاز مهمة الشيطان، واجهناهم نحن لنصيب الأمة بنكسة جديدة!!!

وانفجر الألم بصحيفة "آفاق عربية" فنشرت بمانشيت كبير، أنها لا تستبعد أن ينجح التنويريون في استبدال المادة الثانية في الدستور، لكي يصبح (حيدر حيدر) هو المصدر الرئيسي للتشريع!!

وفي كتابها (الله يا زمري)، نشرت مذيعة للبرامج الدينية في التليفزيون المصري ما لا يصدقه عقل من أخبار الاجتراء على الدين، ورفض المسؤولين استمرار أي برنامج ناجح، أو استضافة أي شخصية دينية لها شعبية، فالشيخ (محمد الغزالي) والدكتور (يوسف القرضاوي) على سبيل المثال إرهابيان، أما عندما حاولت تغطية أداء بعض كبار المسؤولين وزوجاتهم للعمرة، رفض التليفزيون ذلك حتى مع السيدة (سوزان مبارك)، وكانت حجتهم أنه لا داعي لربط كبار المسؤولين بالدين بأي شكل، وأنهم يطبقون تعليمات تأتي من فوق بمحاصرة البرامج الدينية!!

وتصرخ (كاريمان حمزة) في النهاية، أنها تنزه وزير الإعلام ورئيس الوزراء ورئيس الجمهورية، أن يكونوا مصدر هذه التعليمات"٣٢[10]، ولكنها في نفس الوقت تؤكد أن هذه التعليمات "تأتي من فوق" حقيقية، لكن هذا الفوق لا يوجد داخل (مصر) إنما خارجها.

في أحد برامجها، كانت تعد موضوعا عن العشرة المبشرين بالجنة، واحتج المسؤول الكبير على اقتصارها على شخصيات من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وطلب منها أن تختار جزءا منهم وأن تكملهم بالمعاصرين (مثل عاطف صدقي)!!!!.. لم تكن طرفة ولا نكتة ولا مأساة جاهل.. بل كارثة أمة!!

صرح وزير الثقافة أنه لن يستقيل طول عهد الرئيس مباركا!!!!!!

أما صحافته .خاصة "القاهرة" و"أخبار الأدب" ـ فقد بلغ بها أن اتهمت الأزهر بأنه ينصب من نفسه محكمة من محاكم التفتيش، وأنه لا علاقة له بالأدب ولا حق له أن يحكم فيما هو خارج الدين، بل وشبهت هذه الصحف رئيس جامعة الأزهر بالنازيين!!!

يلخص مأساوية الوضع كله، ما قاله الدكتور (أحمد عمر هاشم)، في حديث نشرته مجلة المصور الصادرة في ٢٠٠٠/٥/٢٥م من أنه كرئيس للجنة الدينية في مجلس الشعب، تمّ منعه من إلقاء بيان يُدافع فيه عن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، بينما سُمح لـ(فاروق حسني) أن يلقي بيانه، الذي يُدافع فيه عمن يسبون الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، وراح الرجل يردد في ألم: "حسبنا الله ونعم الوكيل"

انتهى الاقتباس من الملف.

(مصر الفساد والإفساد:

---

[10] 32 ؟؟؟؟؟؟؟!!!!!!!!!!!!!

كانت (مصر) قد اضطلعت منذ استقلالها السياسي، بدور ريادي في الفساد والإفساد، والإضرار بالإسلام والمسلمين على مستوى العالمين العربي والإسلامي، والذي تمثّل في كثير من المجالات ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. التخلي عن الحضارة الإسلامية وتراثها وقيمها، والاعتزاز بالانتساب إلى حضارة الفراعنة، وتقديس آثارهم وأوثانهم التي ما تركها الله إلا عظة وعبرة.
٢. نشر رذائل الأخلاق وتعميمها كنموذج يُحتذى بين أبناء الأمة الإسلامية، من خلال السينما والمسرح والغناء، بالإضافة إلى تشويه صور أولياء الله من الرسل والأئمة والعلماء، في أفلامهم ومسلسلاتهم وبرامجهم الدينية، لتجد ممثلا يزني ويشرب الخمر في فيلم، ومن ثم تجده في أحد البرامج الدينية، يدعوا ويبتهل إلى الله متوشحا ثوب العفاف والتقى ممتهنا قدسية الدين وشعائره، بالإضافة إلى ما يطرحونه في أفلامهم ومسلسلاتهم وأغانيهم، من أفكار يُعلّمونها لأبنائنا وبناتنا، تعجز الشياطين عن الإتيان بمثلها.
٣. تمجيد وتقديس سفلة الناس من الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات، وإقامة الأصنام والأوثان وزرعها في الميادين العامة، وإن لم تصدّق بأنهم يُمجّدونها ويُقدّسونها، فحاول أن تشتم أحد عمالقة الفن العربي في حضور أحد المصريين.
٤. تأليه وعبادة أصحاب المال والسلطة من البشر، كما عبد المصريون القدماء ربهم الأعلى فرعون.
٥. موالاة أعداء الله ورسوله من اليهود والنصارى، وبيع قضايا الأمة العربية والإسلامية المصيرية لقاء حفنة من الدولارات الأمريكية.
٦. محاربة تعاليم الإسلام ورموزه في السرّ والعلن، والعمل على محو أثارها من نفوس الناس.

الصور التي عُرضت في ملف الجريمة لما كان يجري في (مصر)، من حرب شعواء مبرمجة شنّها الفراعنة الجدد على الله ورسوله منذ سنوات، رسمتها ريشة فنان مبدع من أبناء (مصر) لا-من غيرها، أشهد الله على أن قومه أصبحوا مجرمين، بل وفاقوا الفراعنة القدماء في إجرامهم، حيث يؤكد د. (محمد عباس) وبيان شيوخ وطلبة الأزهر الوارد ذكره في الحاشية، أن هناك مخططا تنتهجه الحكومة المصرية منذ سنوات، لتدمير معالم الإسلام ورموزه معلما تلو الآخر.

وفيما يلي جزء يسير من التغطية الإعلامية، التي نشرت مؤخرا عن خليل عبد الكريم وكتبه، في صحيفة القدس العربي، والأهرام الاقتصادي وصحيفة أخبار الأدب.. والأخيرة قد كرست نفسها للدفاع عن كل اجتراء على الذات الإلهية، ويبدو أنها ذهبت في ذلك إلى أبعد مما نتصور.. ويكفي دليلا على ذلك أن محاميها في قضايا الرأي، هو (فريد الديب).. محامي الجاسوس الإسرائيلي (عزام عزام) و(سعد الدين إبراهيم).. كما أنه محامي الشواذ من عبدة الشيطان.

نعم..

جاسوسية.. وخيانة.. وشذوذ.

فذلك هو الوجه الآخر للدفاع عن الكفر.

الإسلام الشيوعي

سبعة كتب مشبوهة للمفكر اليساري خليل عبد الكريم[٣٣][11]

33[11] موقع المقال على شبكة الإنترنت:
http://www.lailatalqadr.com/stories/p6260501.shtml

أو:

http://www.alshaab.com/GIF/31-08-2001/Khalil%20Abd%20Alkareem.htm

بقلم بدر الشبيب:

(خليل عبد الكريم) كاتب يساري أو شيوعي أو تقدمي، يكتب في الإسلام.. ولا بأس أن يكتب كائن من كان عن الدين الحنيف، ولكن السؤال هو: ماذا يكتب؟

كان خليل عبد الكريم عضواً في جماعة الأخوان المسلمين منذ سنوات طويلة خلت، ولكنه ترك موقعه هذا وتحوّل من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، فأصبح عضواً في اللجنة المركزية لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، وهو حزب يساري يقول عنه الإسلاميون إنه حزب شيوعي.

ومنذ عشر سنوات أو أكثر، يثير خليل عبد الكريم عاصفة في مصر وخارجها بكتبه التي يضعها عن الإسلام.. وتتعرض هذه الكتب للمنع والمصادرة والهجوم العنيف، ومع هذا فإن الرجل لم يتوقف عن الكتابة ولم يتوقف عن خطه الفكري الذي يصدم الجميع.

ورغم أن عدداً من أساتذة الجامعات الكبار، قد حاولوا كشف ما في دراساته هذه من زيف وافتراءات على الإسلام، إلا أن شيئاً لا يمنع الرجل من الاستمرار، بل إنه يزداد غلواً مع كل كتاب جديد غير عابئ بما تثيره كتبه من رفض عنيف.

ويستخدم خليل عبد الكريم لغة جارحة في كتبه، كما يطرح آراء وأفكاراً لا يمكن أن توصف، إلا بأنها خروج على الملة وعلى رأي الجماعة وعلى رأي الجمهور.

وهو ينطلق في هذا من مقولة: أننا يجب أن نتمتع بالجرأة العقلية، وأن نطرح كل الأفكار وكل الشخصيات، على مائدة التشريح العقلي الموضوعي، البعيد عن الهوى وعن الأفكار الجاهزة، التي يكتب بها المؤرخون والدارسون للإسلام عن الدعوة والرسالة وسيدنا محمد.. يقول خليل عبد الكريم في صدر كتاب أخير له: "وآمل – وهذا أمر متوقع – ألا يسيء البعض فهم هذه الدراسة على نحو لم يرد على خاطرنا، وكنا قد طالبنا بضرورة كتابة التاريخ الإسلامي،

كتابة علمية موضوعية بداية بالحبيب المصطفى، وكرّرنا أن الكتابة بطريقة مغايرة للكتابات التقليدية، يتعين أن تقابل بأفق رحيب وعقلانية بعيدة عن التشنج، ونذكر هؤلاء بأن الأمين نفسه، أكد أن من اجتهد واخطأ فله أجر، ونحن نأمل في أن نحظى بالأجرين.. أجر الاجتهاد وأجر الإصابة".

وفي ظل ما يدعيه من جرأة عقلية على هذا النحو، فإن خليل عبد الكريم يمضي في هذه الكتابات، التي لا نجد لها مثيلاً في تاريخ الإسلام.

ونحن لا ندعو بالطبع إلى مصادرة هذه الكتب أو الحجر على حرية الرجل، ولكننا ندعو المتخصصين وعلماء الدين وشيوخ الأمة إلى مناقشة أفكار الرجل، ودحض ما فيها من شبهات بشكل علمي هادئ بعيداً عن الترويع والتخويف والإرهاب الفكري. (هذا هو رأي كاتبه.. أمّا كلّ متديّن غيورٍ على دينه، فلا يرى أقلّ من أن يتمّ تطبيق حدّ الردّة على هذا المرتدّ الكافر، الذي لا يكتفي بكفره، بل ويتطاول وينشره ليجرح مشاعر أكثر من ٦٠ مليون مسلم في مصر، وأكثر من ٣٠٠ مليون مسلم في الوطن العربيّ.. فليكفر من يكفر بينه وبين نفسه، فإذا تجرّا وأعلن ذلك على الملأ، فليس له منّا إلا ما شرعه الله عزّ وجلّ له).

وهناك الآن، ما لا يقل عن سبعة كتب هامة أصدرها الرجل في السنوات الأخيرة، وهي تستحق المناقشة والتحليل لعرض ما فيها من آراء والرد عليها.

ولسنا هنا بالطبع في معرض تحليل هذه الكتب أو مناقشتها، فليس هنا ولا الآن يتم هذا الأمر، ولكننا قد نكتفي بالتعريف السريع بها، خصوصاً أنها تكوّن الآن مشروعاً فكرياً لهذا الرجل.. والكتب السبعة التي سنعرض لها هنا هي:

أولاً: كتاب (للشريعة لا لتطبيق الحكم):

وهذا الكتاب يقوم على فكرة واحدة أساسية، هي أن تطبيق الشريعة الإسلامية لم يعد صالحًا في هذا العصر، لأن هذا التطبيق سوف يجر علينا من المشاكل ما لا حصر لها. ومع أن الإسلام وكما جاء في القرآن العظيم، هو الدين الخالد الذي يصلح للبشر كافة ويصلح في كل زمان ومكان، إلا إن خليل عبد الكريم له رأي آخر، فهو يقول بالحرف: "إن الإسلام ليس عبادات فقط، بل هو أيضًا تشريعات وعقوبات ونظام سياسي" وهنا الخطورة من وجهة نظره، إذ يرى أن تطبيق الشريعة سوف يؤدي بنا إلى أضرار، تفوق بمراحل الأضرار التي تترتب على إهمالنا لتطبيقها.. وتلك هي دعوة العلمانيين واللا دينيين الذين يفضلون القانون الوضعي على الشريعة الإسلامية.

ثانياً: كتاب (الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية):

وهذا الكتاب يعتبر استكمالاً وتأصيلاً للكتاب الأول إذ إنه ينطلق من نفس الفكرة، التي ترفض الشريعة الإسلامية وترفض تطبيقها، وهنا يقول خليل عبد الكريم: "إن هذه الشريعة التي ينادون بها هي مجرد تعاليم، كان يقول ويأخذ بها عرب الجاهلية، ثم جاء محمد فأخذ هذه التعاليم، وأعمل فيها عقله وفكره، حتى بدت وكأنها شيء جديد"!!.. ولهذا فإن السؤال الذي يطرحه خليل عبد الكريم، هو: "هل تصلح هذه التعاليم، التي كان يطبقها بدو الصحراء، قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا، لكي تحكمنا اليوم؟!".. على أن ما هو أخطر من هذا السؤال، ما معناه وخلاصته أنه ليس ثمة شيء منزل من السماء، بل إن الأشياء كلها من صنع سيدنا محمد ...!!

ثالثاً: كتاب (الأسس الفكرية لليسار الإسلامي):

وفي هذا الكتاب، يقول خليل عبد الكريم صراحة إن الإسلام ليس شيئًا غير العبادات، مع أن طلبة المراحل التعليمية الأولى يعرفون أن الإسلام يقوم على

دعامتين، هما العبادات والمعاملات (من بعد العقيدة طبعا).. ولكنه يحصر الإسلام في العبادات فقط، ولهذا فإن ميدانه الأصلي هو المساجد والجوامع والتكايا والحسينيات، أو الخلاوي والخانقاهات والزوايا والمصلّيات، وحضرات الصوفية وحلقات الذكر ومجالس دلائل الخيرات.. ومعنى هذا أن الإسلام دين للعبادة وليس ديناً للحياة، فهو يحصر وظيفته في دور العبادة، أما شؤون الناس وتصريف حياتهم فليس للإسلام شأن بها.. وهنا نعود إلى مقولات المغرضين، الذين يقولون إن الإسلام ليس ديناً ودولة بل هو دين فقط.

رابعًا: كتاب (مجتمع يثرب.. العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي):

وهذا كتاب مَعْيَبة، لأنه يشوه الإسلام في أعظم عصوره، أي في مرحلة النبوة وصدر الإسلام والخلفاء الراشدين.. وسوف يلاحظ القارئ في اللحظة الأولى، أن الكاتب يستخدم كلمة (يثرب) ولا يستخدم اسم (المدينة المنورة) علمًا بأن الاسم الأول، قد نسخه الإسلام وألغاه النبي وأطلق عليها هذا الاسم الجديد الجميل.. ولكن ليست هذه هي المشكلة في هذا الكتاب.. المشكلة هي في الدراسة الاجتماعية المزعومة التي قدّمها، والتي شوه بها ومن خلالها أعظم المجتمعات وأعظم العصور وأعظم الشخصيات، حين نكتشف أن المجتمع في مدينة رسول الله، وهو المجتمع الذي أقام دولة ونشر ديناً، هذا المجتمع ورجاله، لم يكونوا مشغولين بشيء قدر انشغالهم بالمرأة والجنس معًا . بت

خامساً: كتاب (قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية):

وهذا الكتاب ينزع عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، صفات الرسالة والنبوة والوحي جميعًا، إذ يحاول المؤلف أن يثبت أنه ليس هناك شيء من هذا كله، ولكن الأمر كان ينحصر في رغبة قريش في أن تقيم دولة، وأن تسود على القبائل العربية في شبه الجزيرة وما حولها.. وقد تم هذا وفق

تخطيط محكم قام به رجل داهية، هو جدّ النبي صلى الله عليه وسلم، وهو عبد المطلب الذي جاء بحفيده محمد، الذي لم يكن أقل منه ذكاءً، وصنع منه حاكمًا ومؤسسًا لهذه الدولة!!.. لقد أراد عبد المطلب أن يصنع ملكًا فصنع نبيًا، أي أن الحكاية كلها هي الحكم وهي السيطرة وهي السيادة إلى جوار ملوك وأباطرة، يحيطون بقبائل العرب ابتداء من كسرى حتى هرقل.

(وهو كلام مضحك، مناسب للسذّج والحمقى والجهّال، فقد كانت قريش أشدّ وأنكى مَن عادى الرسول طوال مدّة بعثته!!.. هل يُعقلُ أن يؤلّب رجلٌ العبدَ على أسياده فيثيرَ كراهيتهم ونفورَهم، ويوقعَ المجتمع في انقسامات حادّة وحروب لأكثر من عشرين عاما، من أجل أن يصنع مجدا لقريش؟!!.. لمن يكتبُ هذا الرجل بالضبط؟؟.. إنّها أغرب طريقة يتمّ تكوين دولة بها، فقد كان الرسول ومن معه مهدّدين بالإبادة مئات المرّات.. ويكفي أن أذكّرك بمقاطعة قريش الاقتصاديّة له ومحاصرته هو ومن معه في شعاب مكّة لمدّة ثلاث سنواتٍ حتّى كادوا يهلكون جوعا!!.. هذا بخلاف محاولة قريش لاغتياله في بيته، واضطرارهم له أن يهاجر من مكّة إلى المدينة... و.. و... و.... .. يا له من تخطيط محكم من (عبد المطّلب) زعيم قريش، الذي لم يستطع أن يضمّ زعماء قريش تحت قيادة حفيده!!.. الحمد لله أنّ البلهاء قد وجدوا أخيرا من يكتب لهم!!).

سادساً: كتاب (شدو الربابة بأحوال الصحابة):

وهذا كتاب لا يقل سوءًا إن لم يزد عن الكتب السابقة، وهو أيضًا يأتي استكمالاً لكتابي "مجتمع يثرب" و"قريش القبيلة والدولة".. وفي هذا الكتاب الجديد يعرض المؤلف لأحوال صحابة رسول الله، فيقول فيهم كلامًا لم يرد في كتب السيرة ولا في كتب التاريخ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يختلي بالصحابي الجليل سلمان الفارسي، لأيام طويلة لكي

يأخذ منه ويتعلم على يديه، لأن سلمان فيما يقال كان من كبار مثقفي عصره، وكان عالمًا بالعقائد والأديان وكان يحيط بالمذاهب المختلفة!.. وقد جلس النبي بين يديه كما يجلس تلميذ بين يدي أستاذه، ليتعلم منه كل الأسس والقواعد والتجارب والتواريخ والسير، التي استفاد منها النبي بعد ذلك في رسالته الإسلامية المحمدية!!

سابعًا: كتاب (فترة التكوين في حياة الصادق الأمين):

وهذا هو آخر كتب خليل عبد الكريم، ولعله أخطرها جميعًا.. ويقوم هذا الكتاب على فكرة واحدة أساسية هي أن سيدنا محمد ليس نبيًا، ولكنه تلميذ عبقري لمجموعة من الأساتذة هم: السيدة (خديجة)، وابن عمها ورقة بن نوفل، وبقية أفراد الأسرة وهم: (ميسرة) والراهب (بحيرا) والراهب (عداس) والبطرك (عثمان بن الحويرث).. وكلهم مسيحيون.. ولقد قامت هذه المجموعة النصرانية على صناعة هذا النبي، بعد أن عكفوا على تعليمه لأكثر من خمسة عشر عامًا، حفظ فيها كتب الأولين والآخرين، وعرف التوراة والإنجيل والمذاهب والعقائد، وانتهى هذا كله بنجاح التجربة، أي الرسالة وصنع هذا العبقري الذي أصبح نبيًا، ووضع كتابا حيّر العالمين على امتداد القرون هو القرآن الكريم!!

ويقول خليل عبد الكريم بالحرف الواحد: "وهذا الكتاب يقدم رؤية جديدة، نزعم أنها غير مسبوقة لحل هذا اللغز الذي ملأ الدنيا وشغل الناس.. وقد بدأنا بمحمد قبل أن يلتقي أبوه بأمه حتى التقطته سيدة قريش، بعد أن توسمت فيه بفراسة يعزّ مثلها أنه هو القادم المنتظر، ثم قيامها بمعونة سخيّة من ابن عمها القس، بدور لا نجد له في تاريخ الأديان مجرد شبيه.. إنها ملحمة خالدة سلخت من عمر الطاهرة والقس، عقدًا ونصف العقد من الزمان، في الإعداد والتصنيع والتهيئة والتأهيل، حتى طرح ذلك العمل

الصبور الدءوب المتأني المخطط، والمرسوم بدقة متناهية ثمرته الناجحة، وحدثت واقعة غار حراء بصورة فذة معجبة، أدهشت حتى فاعليها وهما سيدة نساء قريش وورقة بن نوفل، لأنها جاءت بصورة لم تخطر لهما على بال.. ولا شك أن هذا النجاح يؤوب بنسبة كبيرة إلى موضوع التجربة، وهو محمد فقد كان عبقريًا لا يفري فرية أحد، ذلك أن سيرته الذاتية وخبراته الشخصية وملكاته العقلية والنفسية واللسانية كانت ركائز أساسية في فلاح التجربة"!!

ومعنى لا يفري فرية أحد: أي لا يكذب كذبة أحد، بمعنى أنّه جاء بكذبة لم يسبقه إليها أحد من قبله!!.. لقد كان الرسول يُسمى الصادق الأمين في مكة، وبذلك ينفي عنه الكاتب هاتين الصفتين، فيكون إيرادهما في عنوان الكتاب، من قبيل الاستهزاء والاستخفاف به وبمن صدّقوه على مدى ١٤٠٠ سنة!!.. وهذا مما ملأ قلب مسيلمة الكذاب هذا وأمثاله، غيظا وحسدا على خير الخلق وأكرمهم محمد عليه الصلاة والسلام!!

ويقول أيضًا في نفس الكتاب "أما في المساء وفي ليل مكة الطويل شتاءً، فكان مع الطاهرة – أي خديجة – بمفردها أحياناً، وبحضور القس أحيانًا أخرى، حيث تتم في تلك القعدات مذاكرة الإصحاحات مباشرة (التوراة والإنجيل) ثم إدارة الحوار بشأنها، وأما بتلقّيها من الأم الرءوم والزوجة الحنون خديجة، التي لا شك أنها أجادت القراءة والكتابة، وقد قرأت تلك الإصحاحات وخزنتّها في ذاكرتها، أو أنها طفقت تقرأها له مباشرة (ولا أدري، أكان معهم في ذلك العصر، أمّ أنّ لديه آلة زمن يستطيع بها سبر أغوار الماضي؟.. من أين أتى هذا المتخلّف بهذا الكلام، وما هي أسانيده؟؟؟).. وكل هذا يدور بالنهار في الأسواق والحوانيت والأعياد، وما يتم سماعه من القس ورقة وخديجة من الإصحاحات، التي عرّبها القس في الليالي الطوال (لتخرج في شكل سور القرآن) وما يعقبها من شروح وإيضاحات (السنة النبوية) وحوارات بالجلسات، التي قد تستمر حتى بزوغ الفجر.. نقول إن كل هذا، كان يجري

تخزينه وبرمجته في ذاكرة العبقري، الذي لم تر جزيرة العرب له مثيلاً، ولم تشهد له ضريباً، ولم تعاين له شبيهاً أو نداً، خاصّة وقد آمنا أنه أمّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، والأمي – أيّ أُميّ – يتمتع بذاكرة حديدية، وحافظة واعية أشد الوعي، فما بالك إذا اجتمعت الأمية والعبقرية الفذة في شخص واحد"!!

(الأولى أن يعترف له بالعبقرّية على كلّ البشر أوّلهم وآخرهم، فما جاء به لم يأت به أحد قبله ولا بعده.. أما كان أحرى برجل بهذه العبقريّة أن يدّعي الألوهيّة كما ادعاها فرعون، ولم يكن ليجد مشقّة حينها في إيجاد أتباعه؟؟.. إنّ هذا الكاتب اللعين لم يقدّم أيّ جديد فيما يطرحه، فقد سبقه الكفّار واتهموا الرسول بالكذب والشعر والسحر والكهانة والتنجيم والجنون.. العب غيرها!!)

ويقول في موضع آخر: "ومهما كانت الجهود التي بذلتها الطاهرة وعاضدها فيها ابن عمها القس، فإنها لا تنفي عن التجربة وفي مقدمتها حادث الغار، جانبها الغيبي وناحيتها الميتافيزيقية[34][12] إذ لا تعارض بين الأمرين، بل إن كلا منهما يكمل الآخر ويدعمه".

(يظنّ الكاتب بهذا أنّه يتذاكى علينا.. وكأنّه لا ينكر الوحي!!)

ويقول أيضاً: "حتمٌ علينا أن نقرَّ ونعترف بمهارة خديجة، في المزج بين الأمومة الفياضة بالحب والحنان، وبين الإعداد الكريم الدقيق لتلقّي التجربة، ولولا هذا الخلط البارع لما قُدّر للتجربة الفلاحُ والنجاح الذي ملأ الدنيا، وشغل الناس منذ أربعة عشر قرناً ومازال يشغلهم حتى الآن وربما لأمدٍ بعيد، ما لم تتبدلْ جذرياً أحوالُهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وما لم يتحلّل حراس الأساطير وجلاّس التراث المبارك عن أماكنهم الميمونة"!!

---

[34][12] المتافيزيقية: لفظ توصف به الظواهر الخارقة الطبيعية، التي عادة ما تتأتى، على أيدي الكهان والسحرة والمشعوذين والدراويش ومحضّري الأرواح، وذلك لنفي الوحي.

وهو هنا يعني: ما لم يعمل جهابذة المفكّرين من أمثاله، على رفع هالة القداسة عن (محمد) ورسالته فتعالى الله عما يُشرك به المجرمون!!

(عجيبٌ أن يظنّ هذا الرجلُ أنّه بهذه الكلمات البلهاء يستطيع النيل من خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي آمن برسالته عبر التاريخ حتّى يومنا هذا مليارات البشر، وما زال يكتسب المزيد من المؤمنين من الشرق والغرب، منهم البسطاء والعاديّون، ومنهم العلماء والعباقرة والمبدعون في أكثر دول الغرب تقدّما وحضارة.. فهل يظنّ هذا الزنديق أنّه أوتى من العقل والحكمة ما لم يؤته كلّ هؤلاء؟؟.. حريّ به أن يدّعي النبوّة، فإنّ تصديق نزول وحي عليه بهذه الأنباء والتحليلات أسهل من تصديق عبقريّته المشكوك فيها، خاصّة وأنّه لم يزد حرفا على ما قاله اليهود والنصارى من افتراءات على رسول الله، لم تقدّم أو تؤخّر!!).

ثم يقول (خليل عبد الكريم) في موضع آخر وأخير: "كان أسى محمد المرير على فقد خديجة أمرًا بديهيًا لأنها الأم الرءوم والزوجة الحبيبة، ولولاها ما أكمل التجربة حتى نهايتها، وهي التي أتاحت له التّماس مع ورقة وعداس وبحيرا، وقضاء الليالي الطوال مع ابن نوفل في المدارسة والمذاكرة والمحاورة، وهي التي كانت تقرأ له الصحف التي عرّبها القس نوفل، وهي التي هيّأت له الاختلاطَ بأصحاب جميع الملل والنحل والعقائد والأديان الذين اكتظّت بهم مكّة، ولولا التفرّغ الدائم وهو أحد عطايا أم هند لما انفسحت له الفرصة الثمينة.. ولا شك أن الخلطة بأصحاب الديانات شكّلت جزءًا من الخطّة المرسومة، لما انضوت عليه الخطة من تمرّس واستماع، وحفظ وحوار ومدارسة وتخزين معلومات.. لقد أدركت خديجة منذ فجر التجربة، أن احترافه التجارة لا يدع له فسحة من الوقت، في حين أن التجربة تحتّم ضرورة التفرّغ الكامل، وطلاق كل ما يشغله عنها طلاقًا بائنًا بينونة كبرى".

وبعد.. فهذه مجرد وقفة سريعة عند كتب (خليل عبد الكريم).. وليس منها كتابٌ أقل خطورةً من الآخر.. ولكن ربما كان هذا الكتاب الأخير هو أخطرها..

فسوف نلاحظ هنا، أن سيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم، ليس نبيًا يوحى إليه بل هو رجل عبقري، تمت صناعته على يد السيدة خديجة وجماعتها، وهم مجموعة من أقباط مكة، وأنه تم تحفيظه الكتب السماوية التي سبقته كلها، فكان النتاج هو هذا الرسول!!.. وأغربُ من هذا، أن الكتاب كله لا ترد فيه كلمة الرسالة، للدلالة على الدين الحنيف بل هو يسميها التجربة.. فلقد نجحت تجربة (خديجة) ومن معها بما يعني أنها شيء أرضيّ، وليست شيئًا علويًا منزّلاً من فوق سبع سماوات.. وفي هذا السياق، فهو يسمي السيدة خديجة باسم الطاهرة تيمنًا باسم مريم العذراء، التي طهّرها رب العزة والجلال واصطفاها على نساء العالمين، ودلالة الاسم هو أن السيدة خديجة كانت نصرانية.. وبعد هذا فهو لا يتورع عن وصف الوحي، الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، في غار حراء بأنه حادث غيبي ميتافيزيقي!

بين الإبداع والحرية:

بقلم: الأستاذ بدر الشبيب

الإبداع أمر لا يختلف على أهميته اثنان، والاحتفاء بالمبدعين دأب المجتمعات الحضارية، التي تنشد الرقي والتقدم دائما وأبدا.

ولكن كيف يكتسب عمل ما صفة الإبداع؟.. هذا سؤال جوهري، ينبغي على المهتمين بالشأن الثقافي والفلسفي الإجابة عليه، لأنه أصبح أكثر إلحاحا من ذي قبل بخاصة مع ظهور موجة في العالم العربي، ترى الإبداع في الخروج على المألوف والحديثِ في المسكوت عنه، وذلك في مجالين اثنين لا ثالث لهما: الدين والجنس.

فباسم الإبداع وحرية النشر والتعبير، تقذف لنا دور النشر كتابا هنا ورواية هناك، يكون هذان المجالان محورهما، مع كثير من التطاول على حرمة

المقدسات والرموز الدينية، وكثير من الإسفاف والابتذال والخروج على الآداب العامة.

وقائمة الأسماء طويلة، تبدأ من المشرق ولا تنتهي في المغرب، ويأتي على رأس القائمة جمع من الروائيين أمثال (حيدر حيدر) في ملعونته "وليمة لأعشاب البحر"، و(محمد شكري) في "الخبز الحافي"، و(منى فياض) في "فخ الجسد"، و(إلهام منصور) في "أنا هي أنتِ"،... الخ.

وأما الكُتّاب فهم كثر أيضا: (نوال السعداوي)، (ليلى العثمان)، (نصر حامد أبو زيد)، (خليل عبد الكريم)... الخ.

ولعل (خليل عبد الكريم) هو آخر المتطاولين في كتابه "فترة التكوين في حياة الصادق الأمين"، حيث يتناول مرحلة ما قبل النبوة في حياة النبي (ص) محاولا النيل من قدسية الرسول (ص)، والتشكيك في كونه مرسلا من عند الله.

والملاحظ أن هؤلاء الكتاب والروائيين يؤسسون لكتاباتهم بمصطلحات تبدو للوهلة الأولى حضاريةً وتقدمية، من مثل الإبداع وحرية النشر والتعبير، وإعادة قراءة النصوص التراثية بما فيها القرآن، بالاستفادة من المناهج التاريخية والمدارس الألسنية الحديثة.

ولكننا حين نتأمل في مجمل إنتاجاتهم، نجدها تهدف أولا وآخرا إلى المسّ من المقدّس الإسلامي وجعله غير مقدّس، وإلى هدم قلاع الحياء والعفة في المجتمع المسلم، وإلا فأي معنى لحصر الإبداع في كلّ ما من شأنه الحطّ من الذوق الجمالي الرفيع، بدلا من أن يكون الإبداع أساسا لتدريب الذائقة وتنميتها؟!

وسؤال آخر يطرح نفسه: هل يحق لكل أحد أن يكتب في الدين ويناقش مسائله، ولماذا يصبح النص الديني مباحا لكل أحد.. ألسنا نعيش عصر التخصص؟!

وأخيرا، لماذا يغضب هؤلاء الكتاب عند رفع دعوى حسبية ضدهم أمام القضاء، إذا كانوا متحضرين فعلا؟!.. أليس التقاضي أسلوبا حضاريا؟!

نحن لسنا ضد الإبداع، ولسنا ضد الاستفادة من المنتجات الثقافية للآخرين، ولا نريد هنا أن نؤسس لفقه المصادرة، ولكننا نريد أن نؤسس منهجا منطلقا من ثقافتنا الإسلامية الأصيلة، في تعريف مصطلحيّ الإبداع والحرية وحدودهما، في نفس الوقت الذي ندعو فيه لإعادة صياغة فقه الحسبة، بلغة عصرية وبثه في أوساط المجتمع.

وهذا التأصيل ضروريّ، لكي نتعرف على قيمة المنفعة والمتعة وغيرهما في تحديد إبداعية العمل، وكذلك للتعرف على الأطر التي تعمل الحرية في حدودها، إذ لا يمكننا الاعتماد على المنهج الغربي الذي يكيل بألف مكيال، فيحتفي بـ (سلمان رشدي) باعتباره مبدعا، ويضيق صدرا بـ (روجيه جارودي) فيسن قانون (جيسو – فابيو) ليقدمه للمحاكمة، لأنه كتب "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، كما لم يتسع صدره لـ (دافيد ايرفنج) المؤرخ البريطاني الذي شكّك في أرقام الهولوكوست!!

جولة الصحافة: الجزيرة نت:

ثورة المشايخ

أصدر مجمع البحوث الإسلامية من جهته، تقريراً عن الكتاب، أوضح فيه أن الكتاب، يعتبر إنكارا لرسالات الأنبياء.. ويعرض الكتاب لحياة الرسول الكريم بشكل مُزرٍ.. وانتهى التقرير إلى التوصية بمصادرة الكتاب الذي يمثل عملاً عدوانياً على عقيدة الأمة الإسلامية، ينكر مبدأ الرسالات السماوية إنكاراً قاطعاً، ويزعم أن جميع الأنبياء صناعة أرضية بشرية.. من الجدير بالذكر أن التوصية بالمصادرة صدرت بإجماع آراء علماء مجمع البحوث.

من ناحيته أكد د. (يحيى إسماعيل) الأمين العام لجبهة علماء الأزهر، أن الكلام الوارد في الكتاب لا يحتمل حكماً آخر غير الكفر.. وأضاف قائلاً: لسنا أمام ثقافة أو فكر ولا يمكن أن تكون الوقاحة إبداعاً.

وفي نفس الإطار نشرت صحيفة الوفد تقريرا، تحت عنوان وزارة الثقافة تطبع كتاباً يهاجم الإسلام، ويقول التقرير: إن مجمع البحوث الإسلامية، طلب مصادرة كتاب (المرأة والجنوسة في الإسلام) والذي قامت بتأليفه (ليلى أحمد) باللغة الإنجليزية، وطبعته وزارة الثقافة على نفقتها بعد ترجمته.

وكشف التقرير، أن الكتاب يزعم أن القرآن اقتبس مادته التاريخية من التوارة، وأن الإسلام سلب حقوق المرأة.. واتهم التقرير المؤلفة بالتشكيك في سماوية القرآن وبالتحريف المتعمد لوقائع السيرة النبوية.. وطلب التقرير مساءلة المجلس الأعلى للثقافة، عن إضاعة أموال الدولة في عمل يدعو لهدم الإسلام.

(يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً):

في نيجيريا تخرج الملايين من الناس، لتجتمع في صعيد واحد مطالبة بتطبيق الشريعة، فتبدأ ولاية تلو أخرى بتطبيقها، بالرغم من معارضة الغرب النصراني، أما في مصر أم الدنيا بلد الأزهر كما يُسمّيها الأشقاء المصريون، وفي أرض الكنانة كما يُسميها الأشقاء العرب، فالشريعة الإسلامية لديهم انتهت مدة صلاحيتها، لذلك يتوجب علينا أن نُلقيها في سلة المهملات، ليكون مصيرها الحرق في مقالب قمامة القاهرة.

هي نفسها حرب فرعون وملئه، على موسى ومن معه من المؤمنين، تتجدّد على نفس الأرض وعلى نفس الشاكلة، ولا وازع ولا رادع، بالرغم من سكنهم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، فأخذهم وأبقى أثرهم لتذكير من يأتي بعدهم ببطشه وجبروته.

في مصر تُصدر المحكمة الإدارية في القاهرة، في مطلع شهر ٢٠٠١/٧م، قرارا بإغلاق صحيفتي (النبأ) و (آخر نبأ)، لأنها أساءت لمشاعر الأقباط بنشر صور فاضحة، وانحرافات جنسية لراهب مطرود من الدير، مما أثار تظاهرات غاضبة للأقباط. وهذا القرار عادل بلا أدنى شك فديننا لا يقبل هذا الفعل.

ولكن ماذا عن إساءة مشاعر المسلمين، وماذا عن الإساءة لكتاب الله، وماذا عن الإساءة لرسول الله، وماذا عن الاجتراء على الله؟؟

لقد رُفعت قضايا ضد من قاموا بذلك، ولكن هل اتخذت تلك المحكمة قرارا مشابها؟!

نعم.. لقد أخذت الحكومة المصرية قرارا.. ولكن بإغلاق الصحف التي دافعت عن مقدسات الأمة، بدعوى الإرهاب الفكري للمبدعين، الذين انهالوا على الإسلام ليحطموا أوثانه وأصنامه، التي ألفوا آباءهم وأجدادهم لها عاكفين، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان!!

ما يلفت الانتباه، هو أن أقباط (مصر) قد غضبوا لدينهم بشكل جماعي وهم أقلية، ومن حق الإنسان بل واجب عليه أن يغضب، ولا يكون الغضب محمودا إلا في هذا الموقف.. ولكن هل غضب المسلمون في (مصر)، عندما انتهكت وما زالت مقدّساتهم الدينية جملةً وتفصيلا.

يقول د. (محمد عباس): "كانت الأمة تغلي بالغضب، وكان قلبها متمثلا في طلبة جامعة الأزهر، حيث تظاهر ٣٥ ألف طالب، وكانت الدولة مترددة حتى حسمت أمرها بإطلاق الرصاص، على قلب الأمة على طلبة جامعة الأزهر".. ويقول: "كان موقف شيوخ الأزهر وطلبته رائعا، فقد أصدر ٧٠ عالما أزهريا بيانا".

ولكن ما شاهدناه على شاشة التلفزيون هو مظاهرة تضم بضعة عشرات من فتيات الأزهر، وأدتها الشرطة المصرية من قبل أن تبدأ، حسبما جاء في النشرات الإخبارية.. وما نود أن نُشير إليه هنا أن الأمة المصرية لم تُحرك ساكنا، فهي منشغلة بدنياها من رأسها حتى أُخمصِ قدمها، لتستمر المعركة على صفحات الصحف من قبل القلة من أبناء (مصر)الذين انتصروا

لدينهم، وخذلتهم أمتهم وخذلت دينها قبل أن تخذلهم حكومتهم.. وما نسبة ٣٥ ألف طالب مما يزيد عن ٦٠ مليون مسلم في مصر؟!

وهذا الوضع المؤسف والمأسوي في مصر، الذي حاول د. (محمد عباس) تجميله، والذي يبعث الأسى والحزن في قلب كل مسلم، هو ما تستشعره في ثنايا مقالاته وبياناته هو نفسه، وهو ينادي في أمته فلا سامع ولا مجيب، مما اضطره للاستنجاد بالأزهر وطلبته والمفتي والقرضاوي، بعد أن وجد نفسه وحيدا محاصرا، بين فكيّ كماشة إعلام الكفر والضلالة وجبروت فرعون وسطوته، فاستجابوا له بعد حين.

فلماذا انتصرت الحكومة لنصارى (مصر) وحاربت مسلميها؟!.. أليس لأنهم يخشون الناس من نصارى الغرب كخشية الله أو أشد خشية؟؟

نعم.. هذا هو الشرك بعينه.

نعم.. إنهم يشكّون بربوبية الله وألوهيته ولا يدينون له بالعبادة، ويشكّون في قدرته على نصر أوليائه والانتقام من خصومه.. ويُضاف إلى شركهم صفة أخرى هي النفاق.

وفي خضم هذه الموجة، ومع ضعف نور الإسلام وأفول شمسه، سيتحول النفاق قريبا إلى كفر بواح، فلن يكون هناك داعٍ للخجل.. حينها ستكون بطشة ربك الكبرى على الأبواب، ويكون أهل مصر قد أعذروا الله في أنفسهم بما كسبت أيديهم وبما سكتوا عن الحق، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، لنعودَ إلى قوله تعالى (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩ القصص).

وقال تعالى (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ، وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا، ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ، أَنْ

تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ، قُلِ اسْتَهْزِئُوا، إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ، نُعَذِّبْ طَائِفَةً، بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ، وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ، نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ، نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا، هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ، فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ، وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا، أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ، أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) يَأَيُّهَا النَّبِيُّ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ، لَئِنْ ءَاتَانَا مِنْ فَضْلِهِ، لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ

نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ، بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ، وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨ التوبة).

وقال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧ الأحزاب).

تعقيب:

ينبغي أن أوضّح بعض النقاط للأخ (خالد عبد الواحد)، فيما يختصّ بسكوت أهل (مصر):

١- نصف سكان (مصر) أمّيّون لا يقرأون ولا يكتبون.

٢-الصحف الحزبيّة التي تكتب هذه المقالات نُسخها قليلة، ولا تصلُ إلا لعددٍ محدود من الناس، وتمّ إغلاق الصحفِ الغيورة على الدين منها كما ذكرتَ.. أمّا الصحف الكبرى والتلفاز والإذاعة، فلا تتطرّق إلى هذه المواضيع إلا من زاوية أعداء الإسلام، ولا تنشر ما يستفزّ الناس.. فقط، دائما وأبدا، يؤكّدون أنّ هناك مبدعا حرًّا غيورًا على بلده، يهاجمه أعداء التقدّميّة والحرّيّة والمهلّبيّة... إلخ، دون أن يوردوا نصوصا من الكفر والضلال الذي يكتبه!

٣- وفي خضمّ كلّ هذا، تطارد السلطة رجالَ الدينِ والمتديّنين والمثقّفين المحترمين بلا هوادة ولا رحمة، وتستأصلهم من المساجد والنقابات والاتحادات والمراكز القياديّة، وتلقي بمعظمهم إلى المعتقلات.. إنّهم يفهمون جيّدا أنّ الشعوب لا تتحرّك إلا بقيادة، لهذا يعملون على استئصال شأفة كلّ من تبرز عليه معالمُ التأثير الجماهيريّ.. ويكفي مثلا، طرد عمرو خالد من (مصر)، مع أنّه لا يتطرّق

إلى السياسة في خطبه، لمجرّد أنّه بدأ يؤثّر في شريحةٍ عريضةٍ من الشباب، معظمهم من الطبقات الراقية التي تحكم البلد.. وحتّى تفهم ما أعنيه أكثر، سأنقل لك تساؤل فرْدٍ قابلته يوما.. قال لي باندهاش: "عجبا: كلّ من أقابلهم يعرفون الحقّ ويرونَ الحقيقة.. فلماذا إذن لا يتغيّر أيّ شيءٍ من حولنا؟".. طبعا لأنّ كلّ من يعرفون هم مجرّد أفرادٍ متفرّقين، وكلّ من يحاول أن يجمعهم في تنظيم أو جماعة أو اتّحاد، يتمّ اعتقاله والتنكيل به.. كيف إذن تريد لأيّ شيء أن يتغيّر؟

٤- أمّا عامّة الشعب المصريّ البائس، فهم مخدّرون غائبون عن الوعي، نتيجة غسيل أمخاخ أجيال متتابعة عبر التلفاز وعبر مناهج التعليم اللعينة، وعبر نشر الفاحشة والموضات العارية لإلهاء الشباب بشهواتهم.. ولا أدّعي أنّ هذا يُعفيهم من المسئوليّة.. ولكن صدّقني: قليل منهم جدّا من سمع عن هذه الكتابات.. إنّه شعب أمّيّ بالكامل، خرّيجو الجامعات منه أكثر أمّيّة من الجهلة أنفسهم!.. إنّ مصر أكبر دولةٍ من حيث عدد السكّان والجهل، وأصغر دولةٍ من حيث سوق النشر والثقافة!!.. لهذا تلاحظ أنّ كلّ هذه الكتابات تصدر من وزارة الثقافة على نفقة الدولة، فلا أحد يشتريها ولا أحد يعلم بأمرها!!.. وإن كان هذا لا يُلغي خطورتها، فبها يُفسدون من لم يفسد من المثقّفين وممن يتوسّمون فيهم الوصول إلى المراكز القياديّة.

٥- هذا بخلاف المشاكل الطاحنة التي يعانيها الشعب المصريّ، كالفقر والمرض والبطالة وتأخّر سنّ الزواج وانتشار الخلافات الأسريّة والجرائم.

٦- باختصار: إنّك ترى نتاج تخطيط محكم، بدأ منذ الحملة الفرنسيّة، وتأصّل في ظل الاحتلال الإنجليزيّ، وآتى ثماره مع ثورة ٢٣ يوليو، التي أجهزت على كلّ خير وفضيلة في مصر، حيث نجحت في زرع الخوف

والرعبِ في قلوب الناس، ودمّرت التعليم وروّجت إعلاما فاجرا، وحاربتِ المثقّفين والمفكّرينَ والمتديّنين، ودمّرت الأزهر بتحويله لنظامٍ لعينٍ شبيه بنظام التعليم العاديّ، وحاصرت رجال الدين في المساجد، وأرهبتهم لتكمّم أفواههم، فنجحت فيما لم ينجح فيه الاحتلال الإنجليزيّ، وقضت تماما ونهائيّا على دور رجال الدين في المجتمع.. ولولا أنّ السادات أراد أن يلاعب الشيوعيّين والناصريّين بالإسلام فمكر به الله، لكان الوضع في (مصر) أسوأ من هذا بكثير.. إنّ ملحدي وزارتي الإعلام والثقافة يسمّون فترة السبعينيات في (مصر) بعصر الرّدة والتخلّف، فقد شهدت فيها (مصر) صحوةً دينيّة، ما زالوا يتجرّعون مرارتها حتّى الآن، حيث عملت على عرقلة تنفيذهم للخطط الشيطانيّة المرسومة لهم في الخارج!!.. والآن بعد انتشار الفضائيّات والإنترنت، ووصول صوت رجال الدين إلى عدد أكبر من الشباب، بحيث صار الأمر يزعجُ هؤلاء الملاعين جدّا، راحوا يخطّطون -أو يُخطّط لهم- حتّى يشيعوا الفاحشة نهائيّا، ويفسدوا آخر من لم يفسد، وذلك بتدريس الجنس لأطفالنا في المدارس.. ويبدو أنّهم سيطلقون عليه اسم "الثقافة السكّانيّة" لخداع عقول البسطاء.. والله وحده يعلم أيّة كوارث جديدة سترزأنا بها هذه البليّة.. الخلاصة أنهم في سباقٍ مع الزمن، لتهيئة المجتمع لسادتهم من اليهود والأمريكان، حتّى يدخلوا البلد بأقّل قدرٍ من الخسائر.. تماما كما حدث في (العراق).

٧- إنّنا بائسون.. ضائعون.. ضعفاء.. مقهورون على أمرنا.. فادعوا لنا يا إخواننا ولا تدعوا علينا، ولا تنسَوْا أنّ الذي وضع (مصر) وأهلها في هذه المحنة هي قوّتها وأهمّيتها في الذود عن الإسلام طوال التاريخ.. إنّهم لا ينسون أنّ (صلاح الدين) قد خرج منها ليحرّر القدس.. ولا ينسَون أنّ بها قد تحطّم جيش (لويس التاسع) ووقع أسيرا.. ولا ينسَون أنّ

(قطز) قد خرج منها ليصدّ المغول ويقضي عليهم.. لهذا كان لا بدّ من أن تكون الأولى على قائمة مخطّطاتهم اللعينة.

٨- كما أُهيب بكم ألا تتغافلوا، فإعلامنا المريض وكتاباتنا المدمّرة وأفكارُنا الهدّامة، تغزو الوطن العربيّ كلّه لتبثّ سمومها فيه، وإلا فلماذا في نظركم تمّ إنشاء السينما والتلفزيون والفضائيّات في (مصر)؟؟.. بالإضافة إلى أنّ (أمريكا) بعد احتلالها للعراق، ستحاول أن تغيّر نظم الإعلام والتعليم في باقي الدول العربيّة الملتزمة.. فلا تظنّوا أنّكم بمأمن ممّا ابتلينا به.. أرونا إذن كيف ستقفُ شعوبكم أمام هذه الخطوب.. رحمنا الله وإيّاكم.. (والله متمٌّ نورِه ولو كره الكافرون).

سأستمرّ:

وصلتني هذه الرسالة بالبريد الالكترونيّ من أحد أعضاء مجموعة محبّي الإسلام:

lovers-of-islam@yahoogroups.com

فأحببت أن تشاركوني قراءتها.. يقول كاتبها:

منذ فتره طويلة وأنا أسأل نفسي:

هل هناك جدوى من هذه الرسائل التي نتبادلها في المجموعات الإسلامية؟؟

هل تفيد في تغيير واقع المسلمين حقا؟؟

وماذا تجدي أسطر قليلة أكتبها في هذه المجموعة أو تلك؟؟

هناك الآلاف الذين يملكون العلم والقدرة علي التعبير أكثر مني..

وماذا يجدي إذا قابلت أحد الأشخاص وقصصتُ عليه قصة من حياة النبي صلي الله عليه وسلم؟؟

ولكن...

عندما قرأت وصف فضيلة الشيخ (محمد سيد طنطاوي) شيخ الأزهر في مؤتمر العالم الإسلامي الأخير بالقاهرة للأمة الإسلامية بأنها أمة من الرعاع!!!

وعندما قرأت كيف تآمر اليهود علي الخلافة العثمانية، في بداية القران العشرين، وزرعوا من يتسمى بأسماء المسلمين ويتكلم بلسانهم، ولكنه يخدم أهدافهم، فكان حزب "الاتحاد والترقي" في (تركيا) بزعامة (مصطفي كمال)، الذي نجح في إزالة الخلافة الإسلامية تماما، وعزل (تركيا) عن الإسلام عزلا كاملا..

وعندما قرأت كيف تكرّر نفس الأمر في (مصر)، وعاد الجيل الذي تعلم في (أوروبا) بأفكاره المناهضة للإسلام، فكان منهم (طه حسين)، الذي قال بعد عودته من (فرنسا):

"إن هناك آيات في القرآن ضعيفة التركيب الفني!!.. وإن الآيات المدنية أكثر نضجا من الآيات المكية؟؟.. وإنّه ليس معني أن القرآن ذكر أسماء أنبياء مثل (إبراهيم) و(إسماعيل) أن نعتبر ذلك حقيقة تاريخية"!!

وعندما سمعت صحفيا كبيرا بمجلة "روز اليوسف" يقول:

"إن ما ورد في السيرة النبوية عن خلق آدم وحواء إنما هو نظرة متخلفة ورجعية؟؟"

وعندما قرأت مقالا للعلمانيّ الدكتور (نصر أبو زيد) يقول فيه:

"إن القرآن يجب أن يتعرض للنقدِ التاريخيّ والثقافي بصفته منتجا ثقافيا وتاريخيا"!!

ويتساءل الدكتور:

"لماذا لا نعتبر القرآن وحيا بالمعني فقط، أما اللغة فهي من عند محمد؟"!!

بعد أن قرأت وسمعت وتذكّرت ذلك كله، قررت أن استمر بكل ما وهبني الله من قوّة..

إن هذا الوقتَ بالذات، يحتاج لجهدِ وعملِ كلٍّ من كان فعلا يؤمن بالله واليوم الآخر..

لا عذر اليوم للنائمين في العسل..
من كان يبحث عن الجنة، فإن أبواب الجنة الآن تنادي علي من يريدها..
إن الإسلام الآن ينادي أبناءه..
إن السهام الآن توجّه إليكم من كل جانب..
فهل ما زلتم مصرّين علي الغفلة والترف والفساد؟؟
أم أنكم ستفعلون ما ترفعون به رءوسكم، وتلقَون به وجه ربكم؟؟
بل سنرفع رءوسنا يا صديقي، لأنها لو لم تُقطع دفاعا عن الإسلام، فستدهسها أرجل الأعداء عاجلا أم آجلا.
إنّ عملاءهم بيننا يتربّصون بنا الدوائر، ويدمّرون مجتمعنا وحاضرنا وغدنا، ويشوّهون ماضينا وتراثنا وتاريخنا، ويحاربون دينَنا بلا هوادة..
نعم يا صديقي استمرّ.. وسنستمرّ نحن معك أيضا إلى ما شاء الله.

رصدُ بعضِ الظّواهرِ الأدبيّةِ والفنّيّة

في هذا العرضِ الموجزِ سنشيرُ إلى بعضِ الشعاراتِ الزائفةِ والظواهرِ التي تتفشّى في الوسطِ الأدبي والفنّي:

١- المباشرةُ والتقريريّةُ والتقليديّة:

أكثرُ ما يُحيّرُكَ، هو أن تجدَ كلَّ من يطلعُ عليكَ ببدعةٍ جديدة، يتّهمُكَ أنتَ بالتحجّرِ والجمودِ والسطحيّةِ والمباشرةِ والتقريريّةِ والتقليديّة، إلى آخرِ هذه السيمفونيّة!

ثمَّ تزولُ الحيرةُ حينما تجدُ نفسَكَ منشغلا في الدفاعِ عن نفسِكَ أنت، بدلا من مهاجمتِهم، فهم يطبّقون مبدأً (نابليونَ) الشّهير: " الهجومُ خيرُ وسيلةٍ للدّفاع "!

وأنا عن نفسي لا أقرُّ بصورةٍ واحدةٍ للفنّ -كيف ولكلِّ إنسانٍ ذوقُه؟!- بل أومنُ أنَّ للفنِّ صورًا كثيرةً متعدّدة.

فالمباشرةُ عندي فن، والتقريريّةُ فن، والرمزُ فن، والتصريحُ فنٌّ والتلميحُ فن.

ليسَ شكلُ الأدبِ عندي أو مظهرُه أو طريقتُه أو اتّجاهُه هو ما يحدّدُ كونَه فنّا أو عدمَه.

فقط أشترطُ في الفنّ ثلاثةَ مقوّماتٍ أساسيّةً مبدئيّة:

- أن يلتزمَ قواعدَ اللغةِ الّتي يكتبُ بها: فلو كانَ عربيًّا فصيحًا، يجبُ أن يكونَ مستقيمًا من حيثُ النحوِ والصرفِ والبلاغة.
- أن يلتزمَ الأسسَ الّتي تميّزُ نوعًا بذاتِه من الفن: كالموسيقى بالنسبةِ للشّعر، والحوارِ والحركةِ بالنسبةِ للمسرح، والحكايةِ بالنسبةِ للقصّة.
- أن يراه قارئُه جميلا: فلن يُسمّى الفنُّ فنًّا، بدونِ أن يُمتعَ الحسَّ الجماليَّ في متلقّيه.. وهذه النقطةُ الأخيرةُ تخرجُ التقييمَ من حيزِ النقّادِ إلى حيزِ العرضِ والطلب.. فمهما كانَ رأيُ النقّادِ فإنهم لن يستطيعوا منع قارئٍ عن أن يتذوّقَ ما يراه جميلا.

وأنا لستُ ضدّ محاولاتِ التجديدِ والتجريب، ولكنّي ضدُّ التخريب، وأرفضُ تمامًا أن يحاولَ أيُّ فردٍ هدمَ كلِّ ما سبقه من تراثٍ وخبرات، وما يتواجدُ حولَه من أذواقٍ واتجاهات، لفرضِ اتجاهٍ جديدٍ أو رؤيةٍ خاصّة، حيثُ يجبُ أن نَعِيَ جيّدًا أن التجربةَ قد لا يكتبُ لها النجاحُ أو الاستمرار، وأنّ أهمَّ ما ستسفرُ عنه هو تنشيطُ ذهنِ أصحابِ الاتجاهاتِ الأخرى، لتطويرِ أنفسِهم ونماذجِهم.

أعتقدُ أنّني أستفيدُ ممّا أكرهُه أكثرَ ممّا أحبّه، فأوّلُ ما أفعلُه حينما أجدُ أدبًا رديئًا، هو أن أحدّدَ سببَ رداءتِه، وأقسمَ بيني وبينَ نفسي ألا أقاربَ مثلَ هذه الأسبابِ ما حييت!

عامّةً أنا مع حريّةِ الفكرِ والإبداع، وأعشقُ التجديد.. ولكن لا يتسرّعْ أحدٌ في فهمي، فهناكَ فرقٌ جوهريٌّ عندي بينَ الحريّةِ والفوضى، هو حتميّةُ وجودِ الضّوابط. وسيتّضحُ هذا فيما سوف يلي.

٢- الأديبُ يكتبُ والقارئُ يفهم.. الأديبُ لا يُسألُ عمّا يكتُب ولا يُمتحنُ فيه:

حيثُ تجدَ العملَ الأدبيَّ مجرّدَ تداعياتٍ نفسيّةٍ ووجدانيّةٍ مجرّدةٍ من المنطق، أو إلى لقطاتٍ سريعة، من المفروضِ أن تعبّرَ عن حالةٍ وجدانيّة، بعيدةٍ كلّ البعدِ عن العقل.

وعلى القارئِ أن ينزِعَ عقلَه، وأن يتعايشَ مع العملِ بشعورِه فقط، وسيصلُ إلى الإحساسِ المُباشرِ برُوحِ الكاتبِ و... و....

وهو كلامٌ لم أستطعْ استساغته حتّى الآن، وأرى أنّه يخالفُ أهمَّ عنصرٍ في حياةِ الإنسان، وهو عقلُه، الّذي ميّزه اللهُ به، وجعله أساسًا للتّخييرِ.

فليسَ منَ المعقولِ أن يُغرِبَ الكاتبُ في الغموض، أو يكتبَ مجرّدَ تداعياتٍ هلاميّة، وتركيباتٍ ليس بينَها رابطٌ محدّد، ثمَّ يُطالبَ القارئَ بأن يفهمَ ما يحلو له!

ولا أقفُ هنا ضدَّ الصّعوبةِ في التّلقّي على إطلاقِها، ولستُ ضدَّ النّصوصِ الّتي لا تفهمُ إلا بإعادةِ قراءتِها، أو بعدَ اللجوءِ إلى معجمٍ أو مرجعٍ.

ولكنّي ضدّ النّصوصِ الّتي لا تُفهمُ على الإطلاقِ لأنّها بلا هدف، أو تلكَ الّتي يفهمُ منها قارئُها غيرَ ما أراده كاتبُها لأنّ ذلك ربّما يدلُّ على عيبٍ في التّواصل، وعجزِ الكاتبِ في استخدامِ أدواتِ اللغةِ والفن لإزالةِ الالتباس، كما أنّ هذه المساحةَ بينَ الإبداعِ والفهم، يستطيعُ أن يرعى فيها المدّعونَ من غيرِ أصحابِ المواهب، ممّن يتّهمونَ من لا يفهمُهم بالجهلِ وضمورِ الثّقافةِ وضعفِ العقل.

وعامّةً، لقد قالَ القارئُ كلمتَه أيضًا: فالقارئُ لا يقرأُ إلا ما يفهم.
لهذا أتعجّبُ من استنكارِ المثقّفين من ذيوعِ شاعرٍ مثلَ (فاروق جويدة) بينَ الشّباب، رغم أنّه شاعرٌ متحفّظ، يتجنّبُ ما يخدشُ الحياء، وكلّنا يعرفُ أنّ الشبابَ ينجذبُ إلى الكتاباتِ الجنسيّةِ في هذه المرحلة العمريّة.
سيقولُ البعضُ إنّه شاعرُ المراهقين، وكتابتُه في الحبّ هي ما يجذبُ إليه الشباب!
عجبًا لذلك!.. لا يوجدُ شاعرٌ تقريبًا، عبرَ العصورِ المختلفة، لم يكتب في الحبّ والغزل!
ظاهرةٌ أخرى في الرواية، هي رواياتُ الجيب وقصصُ المغامرات، فهي رائجةٌ بينَ الشبابِ لأقصى مدى.
ما الّذي يجعلُ الشّابَّ يتركُ كلَّ هذه الأسماء، ويُقبِلُ على قراءةِ (نبيل فاروق) و(أحمد خالد) مثلا؟
مبدأيّا يجبُ أن نُقرَّ أن أدبَ الخيالِ العلميِّ والأدبَ البوليسيّ، نوعانِ من الأدبِ تمَّ تجاهلُهما إلى الآن، باعتبارِهما أدبَ أطفال، مع أن غالبيةَ الناسِ يشاهدونَ مئاتِ الأفلامِ البوليسيّة، وبعضَ أفلامِ الخيالِ العلميّ على شاشاتِ التلفاز.
يجبُ أن نكونَ صرحاء: هؤلاءِ الشّبابُ يقرأونَ ما يفهمونه ويحسّونَه ويتفاعلون معه ويستمتعونَ به.. هكذا ببساطة.
لماذا يفهمونَ هذا فقط؟
فلنبحثْ دورَ الإعلامِ والتعليمِ في ذلك، وإن كُنْتُ أعتقدُ أنها تغذيةٌ مرتدّة: إعلامٌ ترفيهيٌّ وتعليمٌ سطحيٌّ، يولّدانِ أجيالا هزيلةَ الثّقافة.. ومثقّفونَ لا يصلونَ إلى الإعلام ولا يؤثرون في فكرِ واضعي الخططِ الإعلاميّةِ والتعليميّة، لانشغالِهم بقضايا نقديّة وكتاباتٍ ملغزة، أغلقت عليهم عالَمهم.

فكما أنَّ هناكَ عالمَ الجريمةِ السّفليّ، هناكَ عالمَ المثقّفين، ولا أجرؤُ أن أقولَ إنّه علويّ!

فالحقيقةُ الجليّةُ أنّ المثقّفينَ يقرأونَ أنفسَهم، ويدورونَ في حلقةٍ مفرّغة، شعارُها: أنا أقرأُ لأجيدَ الكتابة، وأكتبُ ليقرأني من يريدُ أن يجيدَ الكتابة!

٣- العبثيّةُ واللا مضمون:

تسمعُ كثيرًا عباراتٍ على شاكلة:

"الأدبُ ليسَ ورقةً مُفضّضةً تحتوي على قطعةِ بسكويت":

بمعنى أنَّ الشّكلَ الأدبيَّ هو في حدِّ ذاتِه فنّ، ولا يفترضُ فيه أن يؤدّي إلى مضمونٍ أخلاقيٍّ أو اجتماعيٍّ أو دينيّ، فذلك هو دورُ الوعّاظِ والمصلحين الاجتماعيّين.

وأتذكّرُ هنا أنَّ إحدى الاتجاهاتِ النّقديّة، اهتمّت بنوعِ الورقِ الّذي يُطبعُ عليه النصّ، ودرجةِ بياضِه، ونسبةِ الكلماتِ في كلِّ صفحةٍ إلى الفراغات، بدعوى أنَّ ذلك يؤثّرُ على نفسِ القارئ!!

أيُّ عجب؟!

أليسَ ممّا يتّهمُ به هؤلاءِ أدبَ الخيالِ العلميّ، أنّه بعيدٌ عن الواقع، وليسَ لأغلبِه قيمةٌ فكريّةٌ أو اجتماعيّة؟

ولماذا يهتمُّ هؤلاءِ، بهدفِ الكتابةِ الماديّ فقط، وما يحصلونَ عليه من نقودٍ

وشهرة -إن حصلوا عليهما- وينكرونَ هدفَ الكتابةِ ودورَها المعنويّ، في

تهذيبِ النفسِ الإنسانيّةِ ومعالجةِ قضايا المجتمع، وتصحيحِ وعيِ

الشّعوب؟

لا ريبَ عندي أن هذه دعواتٌ هدّامة، فاليهودُ الذين يسيطرونَ على المنابرِ الإعلاميّةِ في أمريكا وأوروبّا، يشنّونَ حروبًا دعائيّةً تناصرُ قضاياهم، ويشوّهون كلَّ ما هو إسلاميٌّ وعربيّ، عبرَ أعمالٍ فنّيّةٍ جذّابةٍ تتكلّفُ الكثير (ونشتريها منهم للأسف، رغمَ أنّها تهاجمُنا!!)، بينما نحنُ هنا نحاولُ تفريغَ الأدبِ من مضمونِه ودورِه الدّفاعي.

إنّني أدّعي، أنَّ الأدبَ والفنَّ في مصرَ حاليّا، أكثرُ هدمًا وتدميرًا لشخصيّتِنا، عن الغزوِ الثّقافيّ نفسِه، بل أدّعي أنهما هما الأداةُ الرئيسيّةُ لهذا الغزو!

٤- إرضاءُ جميعِ الأذواق:

أعتقدُ أنّنا نتّفقُ أنَّ الذوقَ الفرديَّ يختلفُ من فردٍ لآخر، ومن عمرٍ لآخر، ومن مكانٍ لآخر، ومن عصرٍ لعصر.

فهلْ معنى هذا أنَّ كلَّ الأذواقِ مقبولة، وأنَّ وجودَ طائفةٍ معيّنةٍ من المجتمعِ لها ذائقةٌ معيّنة، يمنحُها الحقَّ المطلقَ في فرضِ ذائقتِها، أو حتّى الاحتفاظِ بها؟

أعتقدُ أنَّ هناكَ ضوابطَ ومقاييس، تختلفُ تبعًا للنظامِ السياسيِّ القائم، ورسالتِه نحوَ المجتمع، والقيمِ الّتي يريدُ فرضَها، والقيمِ الّتي يريدُ محوَها.

ويتدخّلُ أيضًا الرأيُ العام، وتأثيرُ المفكّرين وعلماءِ الاجتماع، وغيرِهم.

وإن كُنْتُ عن نفسي، مقتنعٌ تمامًا، أنّه ليسَ من حقِّ أحدٍ أن يحاولَ تربيةَ ذوقِ أو فكرِ أحد، بغيرِ وسائلِ الإقناعِ الأمينة، وعرضِ الرأيِ والرأيِ الآخرِ والحجّةِ والمنطق.

فأنا ضدُّ منهجِ الإعلامِ المصري في برمجةِ العقول، خاصّةً عبرَ التلفزيون، وخاصّةً عبرَ الأفلامِ والمسلسلات، الّتي يجلسُ أمامَها الأطفالُ والكبارُ

بعقولٍ سلبيّة، تتلقّي ما يُلقى عليها في بلادة، دونَ نقدٍ أو تمييزٍ أو انتقاء.

شيءٌ واحدٌ فقط يبرّرُ التدخّلَ لتغييرِ أو محاربةِ ذوقِ النّاس: إذا كانَ هذا الذّوقُ فاسدًا يخالفُ شرعَ الله وأوامرَ الدّين، وهذا لسببٍ بسيط، أنّ كلَّ مَن أقرَّ بانتمائِه لديانةٍ معيّنة، قد أقرَّ بالتزامِه بشرائِعِها وقوانينِها، ففي هذا الحالةِ لا يكونُ هناكَ إجبارٌ أو خداع.

نصلُ الآنَ لما يتعلّقُ بالأدبِ والفنّ، وهو شعار: "نحنُ نرضي جميعَ الأذواق"، والّذي لا تجدُه أبدًا إلا مقترنًا بالأدبِ الهابطِ المُبتذل، والفنونِ الفاضحة! وأصحابُ ذلك يقولونَ لك: خذ ما تريدُ، ودعنا نقولُ ما لا تريدُ لأنَّ غيرَك يريدُه!

هذا بالفعلِ ما أفعلُه، حينما أقارنُ بينَ المبدعينَ والعباقرة، فأختارُ منهم ما يُناسبُني، وأتركُ لغيري ما يُناسبُه.

ولكن أن أتخلّى عن مهاجمةِ الابتذالِ والإسفافِ والكلماتِ والمشاهدِ الفاضحة، والأفكارِ المغلوطة، وما يخالفُ ديني ويُهينُ مقدّساتي، فهذا ما لن يحدثَ أبدا، فلو حدثَ وتركنا كلَّ مَن يريدُ أن يعبثَ يعبث، لضاعت أجيالُنا القادمة -إن لم تكن الحاليّةُ قد ضاعت بالفعل!- ولانتهى الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر وهما أحد أهمّ أدوار كل مسلم، ولتربّتِ الأذواقُ الجديدةُ وهي لا تدركُ الفرقَ بينَ الفاسدِ والجيّد.

إنَّ الإلحاحَ بالفسادِ سلاحٌ خطير، يستطيعُ هزيمةَ أقومِ النفوسِ وجذبَها للفساد.

٥- الدّين والأدب:

أصبحنا نسمعُ شعاراتٍ عجيبةً من قبيل:

- فصلُ الدينِ عن السّياسة.

- فصلُ الدينِ عن الأدب.
- لا حياءَ في الفنّ (ولا أدري أين يكونُ الحياءُ بعدئذ!!).

وهذه بالطبعِ شعاراتٌ عجيبةٌ، لأنّ (الدين المعاملة)، ولأنَّ الدينَ ليسَ شيئًا مستقلّا يمكنُ فصلُه عن غيرِه، إنّه كائنٌ كاملٌ، يرتبطُ بكلِّ شيءٍ في حياةِ الإنسان.

عامّةً هذا موضوعٌ كبير، ويحتاجُ لدراسةٍ مستقلّة، ولهذا سأكتفي بقولِ شيءٍ واحدٍ فقط:

إنّني أفهمُ جيّدًا لماذا يحاولُ أيُّ فردٍ أن يفصلَ الدّينَ عن أيِّ شيء، فالدينُ هو أقوى خطرٍ على الطّغاةِ واللصوصِ والجُناةِ وأصحابِ كلِّ فاحشٍ وبذيءٍ ورديء.

وأعتقدُ أنّ شعاراتِ الحرّيّة المزعومةَ التي كان الغربُ يتشدّقُ بها قد أسفرتْ عن وجهِها الحقيقيّ، فـ(أمريكا) التي تدافعُ عن حرّيّةِ الأدباءِ في مهاجمةِ الأديانِ وسبِّ اللهِ سبحانه وتعالى، هي نفسُها التي تتّهم أدباءنا وصحفَنا بالتزييفِ والتعصّبِ ومعاداةِ اليهودِ، وأعتقدُ أنكم سمعتم بتلك الضجّةِ التي أثارتْها أمريكا بسببِ تطرّقِ مسلسل "فارس بلا جواد" لكتابِ "بروتوكولات حكماء صهيون"!!

أينَ المنطق؟.. أينَ العقل؟.. (أمريكا) التي سخّر اليهود إعلامَها لمهاجمةِ الإسلامِ والعروبةَ بأقبحِ الوسائلِ وأقذرِها وأكذبِها، تتّهمُنا بالتعصّبِ والتدليس؟!!

وهذه ليست حالةً فرديّة، فقديما فرضت (أمريكا) في المرحلة المكارثيّة بعدّ الحربِ العالميّةِ الثانية رقابةً صارمةً على الأدبِ والفنّ والفكر، منعا لتسرّبِ الأفكارِ الشيوعيّة إلى المجتمع، ومؤخّرا فرضتْ الرقابةَ على وسائلِ الإعلامِ حتّى لا تنقلَ خطبَ (أسامة بن لادن) إلى الرأيِ العامِّ الأمريكيّ.. ولا داعيَ لأنّ أذكّرَكَ بما ارتكبتْه الأجهزةُ البوليسيّةُ الأمريكيّةُ ضدّ المسلمينَ والعرب في أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ من انتهاكاتٍ

لحقوقِ الإنسان، وظلمٍ واضطهاد.

الخلاصةُ لمن لم يفهم: لا يوجدُ شيءٌ اسمه حرّيّةٌ إذا تعارضت مع مصالحِ أيِّ أمّةٍ أو دولةٍ أو دين.. وعلى الذينَ ينتظرونَ منّا أن نوافقَ على حرّيّتِهم في سبِّ دينِنا ومقدّساتِنا، أن يوافقوا على حرّيّتِنا في تطبيقِ حدِّ الردّةِ عليهم، فهذه حرّيةٌ كما أنّ هذه حرّيّة!!.. فإذا لم يعجبْهم هذا المنطق، فعليهم بالهجرةِ إلى (أمريكا) وطنِ الحرّيّة، ليتذوّقوا قطوفَ حرّيّتِها كما يحلو لهم!!

٦- الإباحيّة:

يقولون لك: الجنسُ ليسَ شيئًا قذرًا، وإنّما هو أسمى العواطفِ الإنسانيّة.

يقولون لك: الأديبُ يُعبّرُ عمّا في نفسِه وعمّا في المجتمع، وهو يرصدُ الظّواهرَ وينقلُها بأمانة، حتّى يمكنَ الشّعورُ بخطورتِها وإصلاحُها.

يقولونَ لك، ويقولون.

نعم الجنسُ أسمى العواطفِ الإنسانيّةِ وهو وسيلةُ وجودِنا، ولكنّه ليس للتجارةِ والابتذالِ وتدميرِ الحياء.. إنّه شيءٌ من أدقِّ خصوصيّاتِ المرءِ وزوجِه، ولا يجوزُ لأحدٍ تشويهَه، أو التلاعبَ به بعواطفِ وشهواتِ المراهقين.

نعم الأديبُ يُعبّرُ عمّا في المجتمع، ولكنّي لا أفهمُ من ذلك أن يقضي كلُّ أديبٍ من هؤلاءِ حياتَه في الكباريهاتِ والخمّاراتِ والمواخير، لينقلَ لنا بأمانةٍ، حياةَ الرّاقصةِ فلانة والداعرةِ فلانة، تاركًا الآلافَ من ظواهرِ المجتمعِ الأخرى.

كم نسبةَ الأدبِ السّياسيِّ بالنسبةِ للأدبِ الجنسيّ؟

أنا أطرحُ عليكم نموذجًا مختلفًا:

تعالوا نصفُ للناسِ مجتمعًا مثاليّا، ونصوّرُه لأذهانِهم ووجدانِهم كأنّما يلمسونه ويعيشونَ فيه.. لا أعني مجتمعًا بلا أخطاء، ولكن مجتمعًا يجيدُ

علاجَ الأخطاء.. لا أعني مجتمعًا من الأتقياءِ الأنقياء، ولكن مجتمعًا لا يسيطرُ الأشقياءُ والجهلةُ فيه على مصيرِ الجميع، بنقودِهم ونفوذِهم.. بحيثُ يصبحُ الأدبُ والفنُّ موطنَ القدوةِ والقيمِ النبيلةِ إن ضاعت في المجتمع.. إنَّ هذا هو ما سيُنشئُ جيلا جديدًا يطمحُ إلى الصواب، ويسعى إلى إيجادِ مجتمعِه المثاليّ.

إنَّ نشرَ فضائحِ ومباذلِ فئاتٍ محدودةٍ ومنحطّةٍ من المجتمع، أدّى إلى إيصالِها إلى أناسٍ لم يكونوا ليتأثّروا بها أبدًا، وكثرةَ ترديدِها ثبّتَ في العقولِ .وخاصّةً عقولَ الأطفالِ .أنّها أمرٌ واقعٌ لا يمكنُ محوُه، وأحبطَ كلَّ مَن كانَ يحلُمُ بالإصلاح، وأعطى أمانًا نفسيًّا لذوي الضمائرِ الضعيفةِ أن يقلدوا الخطأَ وهم مطمئنّون، لأنَّ الناسَ لم تَعُد تستنكرُه، خاصّةً وأنَّ أسلوبَ الروايةِ (أو الفيلم) يكونُ محايدًا، ويدخلُ إلى أعماقِ الفاسدين، ويصوّرُ لنا مدى استمتاعهم بالخطأ، مما يُثيرُ فضولَ التجريبِ عندَ المشاهد.

وبالطبعِ لا يكونُ رادعًا، أن يكونَ مصيرُ البطلِ في آخرِ دقيقةٍ من الفيلم، السجنَ أو الخسارةَ أو الندم، فالتأثيرُ غيرُ متوازن، والإنسانُ مخلوقٌ عجول، لا يخافُ من العقابِ المؤجّل، ويعمدُ إلى التسويف.

مشكلةٌ أكبر، هي أنَّ حياةَ الصالحين مستقرّةٌ وهادئة، ولا يجدُ فيها هؤلاءِ مادّةً مثيرة، بل على العكس، يعمدونَ إلى تصويرِ شخصيّاتٍ شاذّةٍ، إن وجدتْ في المجتمعِ فهي قليلةٌ ولا تُشكّلُ قاعدة، لا لشيءٍ إلا لجذبِ اهتمامِ القارئِ أو المشاهد، وللحصولِ على صفةِ التجديدِ والابتكار.

لقد كدتُ أعتقدُ أنّني لو فتحتُ صنبورَ المياه، فستنسابُ منه الخمرُ بدلا من الماء، من كثرةِ ما شاهدتُ مشاهدَ المخمورينَ في التلفزيونِ المصري.

وبعدَ ذلك تلومونَ أشقّاءنا العرب، في الصورةِ الّتي أخذوها عنّا من أفلامِنا؟

لقد كانَت النساءُ في بدايةِ القرنِ العشرين يرتدينَ النّقاب، ولا يوجدُ اختلاط، لهذا كانت كلُّ شخصيّاتِ المسرحيّات، على درجةٍ من القرابة، ففلانةُ بنتُ خالةِ فلان، وأختُ فلان وهكذا، حتّى تبرّرَ للمشاهدين سفورَ

الممثّلاتِ علنا.

في مثلِ هذا الجوّ، كانَ الأدباءُ يدعونَ للسفورِ والاختلاط، حتّى ينضجَ الأدبُ المصريّ!

وإلى أن ينضج، كانت أماكنُ الفجورِ والدعارةِ هي المادّةَ الخامَ لمثلِ هؤلاءِ العباقرة، حتّى إن (يحيى حقّي) يقول إنَّ قصّةِ العاهرةِ الّتي دفعتْها ظروفُها الاجتماعيّةُ للخطإِ رغم ندمِها الداخليّ، كانت من القصصِ المحبّبةِ لدى أدباءِ هذه الفترة، ولعبوا عليها مرارا (وما زالوا.. لدرجةِ أنّني أفكّرُ في استغلالِ حقّي المكتسب لكتابةِ هذه القصّة!!).

المصيبةُ أنَّ البداياتِ السّيئةَ تؤدّي إلى نتائجَ سيّئة، فقد نشأت أجيال، تعتبرُ أنّ هذه هي الصورةُ المُثلى للأدب، حتّى صارَ بعضُهم يقول، إنَّ الأدبَ لا يكونَ أدبًا إلا إذا حطّم التابو الثلاثيّ: الدين والجنس والسياسة، وطبعًا الأخيرةُ ما زالت في الحفظِ والصون، وتحطيمُ التابوين الأولين يخدمُها تمامًا!

الخطورةُ أنَّ وزارةَ الثّقافةِ تبنّت مثلَ هؤلاء، وهم على ما هم عليه من ضعفِ المستوى، والهلوسةِ الجنسيّة والعقائديّة، فتمَّ إغراقُ السوقِ بآلافِ المطبوعاتِ الرديئة، فضاعَ الإبداعُ الحقيقيُّ وسطَ العدمِ والخواء، حتّى إنَّ الناسَ إلى الآن، لا يعرفونَ سوى أسماءِ أدباءِ الجيلِ السابق، وبعضِ كتابِ المسلسلاتِ الحاليّين.

٧- الموضة الأدبيّة:

أنا أدّعي أن الموضةَ الآنَ ليستْ في الأزياءِ فقط، ولكن في الأفكارِ كذلك، فكل فترةٍ يطلعُ عليكَ الغربُ بمدرسةٍ نقديّةٍ جديدة (عادةً لا تصلنا إلا بعدَ أن تكونَ قد اندثرتْ هناك)، فيُصبحُ من واجبِ دراويش الأدبِ هنا أن يغيّروا جلابيبَهم، وأن يحرفوا بَخورَهم للصنمِ الوافدِ الجديد، مردّدينَ التّمائمَ النقديّةَ الواردةَ على أحدثِ طراز، لاعنينَ كل من تخلفَ عن حتميّةِ التطوّرِ الأدبيّ.

المشكلةُ أنَّ نسبةً كبيرةً من المثقّفينَ صاروا ينجذبونَ لهذه

الشّعارات:

- **خوفًا من اتهامهم بالجهلِ وعدمِ الثقافةِ والانغلاقِ الفكري، ومسايرةِ موضاتٍ أدبيّةٍ منقرضة.**
- **أو لأنَّ الجهاتِ المسئولةَ عن النشرِ، صارتْ تسبّحُ بحمدِ الاتجاهِ الجديد، ولو توانى هؤلاءِ المثقّفون عن مناصرةِ هذا الاتجاه، فستفوتُهم الوليمة، وسيُبعدونَ عن الأضواءِ وسيحرمونَ من النشر.**
- **أو ربّما لأنَّ كثيرًا منهم هم شبابٌ طائش، يندفعونَ وراءَ كلِّ جديدٍ بلا تروّي.**

٨- الأمرُ الواقع:

- **تبدأُ أيٌّ ظاهرةٍ في مجتمعِنا خافتةً ضئيلة، فتلاقى استنكارًا هائلا.**
- **تستمرُّ الظاهرةُ وتتكاثرُ فيملُّ الناسُ من الاستنكار، ويعتادونَها.**
- **تنمو أجيالٌ جديدةٌ، والظاهرةُ أمامَهم عاديّةٌ تمامًا، داخلةٌ في تكوينِهم النفسيّ، لدرجةِ أنّهم لا يستطيعونَ تخيّلَ كيفَ كانَ يعيشُ الناسُ بدونِها!!**

*****

حكاية حزينة[35[1]]

(كيف وصلنا لهذه الدرجة من الهوان)

دعوني يا إخوتي في الله أحكى لكم حكاية نبيلة وحزينة..
رائعة وحزينة..

[35[1]] مجتزئ من الملفّ الكامل لوليمة لأعشاب البحر للدكتور (محمد عباس).. تجد الملفّ كاملا في مجلد مراجع هذا الكتاب، أو على الرابط التالي:

http://www.saaid.net/mktarat/almani/19.htm

كنا هملا في التاريخ بعد أن بادت حضاراتنا، فأكرمنا الله بالإسلام فإذا نحن خير أمة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر..

برسالة الإسلام بلغت البشرية نضجها.. انتقلت من التجسيد والتحريف إلى التجريد والإيمان.. تلك القمة السامية التي منحنها الله وفضّلنا بها على العالمين.. فعندما يؤمن الواحد منا بالله يرى كل شيء من خلاله.. الحياة والممات والنسك.. لا يصبح ما لقيصر لقيصر، بل لله السماوات والأرض وما بينها.. لا يصبح الدين لله والوطن للجميع.. بل لله الأمر كله.

أصبح التوحيد هو درجة الإيمان التي انعقد عليها القلب..

إيمان يعبر عنه هذا الاعتقاد الراسخ:

"إني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة، وقال لي قائل: لا بل الثلاثة أكثر، بدليل أنني سأقلب هذه العصا ثعبانا، وقلبها، وشاهدت ذلك منه، لم أشكّ بسببه في معرفتي، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه، فأما الشكّ فيما علمته: فلا.. ثم علمت: أن كلّ ما لا أعلمه على هذا الوجه، ولا أتيقّنه هذا النوع من اليقين، فهو علم لا ثقة به، ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه، فليس بعلم يقيني".

بهذا الإيمان.. عندما واجه المسلمون أقوى قوة في ذلك الزمن.. عندما اصطدم الجيش الإسلامي في غزوة مؤتة بالجيش الروماني.. ثلاثة آلافٍ مقابل نيّف ومائتي ألف.. وكان ذلك عام ٨ هجرية.. بعدها بخمسة أعوام فقط.. كان الجيش الإسلامي يحارب على جبهتين أقوى إمبراطوريتين في العالم في نفس الوقت، فقضى على الفرس قضاء تاما، أما الرومان فقد هزمهم في موقعة اليرموك هزيمة فادحة، وانسحب "قيصر" قائلا كلمته التي احتفظ بها التاريخ: "عليك يا سوريا السلام.. سلام لا لقاء بعده".

ولنتذكر أن المسلمين لم يكونوا قط - لا في هذه المعارك ولا في جميع المعارك التي انتصروا فيها بعد ذلك - أكثر عتادا أو أشد قوة.. لم ينتصروا بالعتاد ولا بالقوة، بل بما وقر في قلوبهم.

لقد كان أعداؤهم أكثر تقدما منهم بما لا يقاس.. ولقد نقلوا عن أعدائهم سرّ قوتهم.. نقلوا عنهم التكنولوجيا.. لكنهم لم ينقلوا عنهم الانحلال والشرك.. ولم يفقدوا إحساسهم لحظة أنهم الأرقى والأسمى.. أنهم الأعلون.. عكس ما نفعله نحن الآن تماما!!

في (حطين) كان عدد جيش (صلاح الدين) اثنتي عشر ألفا.. وبعد الإمدادات والأعراب وصل عدد الجيش إلى ٢٤ ألفا.. وكان عدد الصليبيين أكثر من ستين ألفا، وكانوا أيضا أكثر عتادا وأشد تقدّما وقوّة.. وانتصر المسلمون انتصارهم الساحق.. نفس الأمر في (عين جالوت).

لم تغفر الحضارة الغربية الصليبية ذلك للإسلام أبدا.. لم يتركونا في حالنا أبدا.. لكن (لويس التاسع) عندما انهزم وأسر في مصر.. اكتشف بعد الإفراج عنه - كما يحدثنا الدكتور (محمد الغتيت) - أن هذه الأمة لن تهزم أبدا بالمواجهة المباشرة.. وظل (لويس التاسع) أربعة أعوام يضع خطته لمواجهة المسلمين عبر التاريخ، بعد أن أدرك أن المعركة ستتواصل جيلا بعد جيل.. اكتشف الرجل - وكان على صواب - أن المسلمين ينتصرون بإيمانهم.. برسوخ عقيدة الجهاد فيهم.. بإدراكهم أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة.. بإيمانهم أن ما عند الله خير وأبقى.. بيقينهم أن الهزيمة كلمة لا توجد في قواميسهم، وإنما إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة (انظروا ما فعله أربعة آلاف من المسلمين الشيشان في ثاني أكبر قوة في العالم)..أدرك (لويس التاسع) أنه لا يمكن مواجهة هذه الأمة إلا بتفريغ دينها من مضمونه ومحتواه..

إنني مضطر للإيجاز المخل.. لكن من عهد (لويس) هذا بدأت ثلاثة حركات متصلة أشد ما يكون التواصل كأضلاع مثلث جهنمي.. كل منها مهّدت للأخرى وشدّت من أزرها وساعدتها.. تلك الحركات هي: الاستشراق.. والتبشير.. والاستعمار.

بعد فشل حملة (لويس التاسع)، ولمدة قرنين، كان الغرب الصليبي يستجمع قوته ويتهيأ للانقضاض.

وكنا نحن المسلمين قد فقدنا قوة اندفاعنا الحضارية في مواجهة الغرب الصليبي والتتار (والحملتان كان يحركهما نفس الهدف للقضاء على الإسلام، لكن كتب التاريخ تخفى عنا ما هو ثابت بالوثائق من تآمرهما المشترك للقضاء على الإسلام).

كنا مثخنين بالجراح، بعد أن أعطينا العالم أنبل حضارة في التاريخ، وبعد أن خضنا كل بحار العلوم..

ومع انتفاضة أوربا وهزيمة المسلمين في الأندلس، ابتدأت موجة عاتية كادت تبيد المسلمين جميعا كما أبيد الهنود الحمر.. وكان ميناء جدة قد حوصر تمهيدا لهدم الكعبة والاستيلاء على رفات الرسول ﷺ، لولا أن قيض الله دولة إسلامية هي الدولة العثمانية لوقف سرعة انهيارنا.. أجّلت الدولة العثمانية انهيارنا ثلاثة قرون.. أجلت شقّ الاستعمار ثلاثة قرون، لكن التبشير والاستشراق كانا يؤتيان أكلهما..

كنا ننهزم من داخلنا.. وكنا نقرأ تاريخنا بعيون المستشرقين.. كنا نُستاب.. نفقد منهج ديننا شيئا فشيئا.. كنا نُروض كالعبيد.. مسخوا ديننا وشوهوه.. تركوا القشرة الخارجية واستلبوا القلب والعقل والضمير.

إن الكارثة أبعد من خيانة حاكم أو خطأ زعيم.. يقول الكاتب - العلمانى وليس الإسلامى! - الكبير (جلال أمين)، إن الحكام العرب يخونون قضية أمتهم منذ خمسة قرون.. قلت لنفسي إن الأمر أبعد مما ذهب إليه (جلال أمين).. لم يكن الحكام العرب وحدهم.. بل جلّ حكام المسلمين!

وليت الأمر اقتصر على هذا وإلا لأمكن للأمة أن تعالجه.. كان بعض نخبة الأمة قد أصيب.. أصبحت عَبَدَةً لمفاهيم المستشرقين.. وكان الغرب يشجع بل ويتآمر كي يضع تلك النخبة الخائنة في الصدارة، لكي تتولى مقاليد الأمور.

ولم تكن المشكلة هي موقفنا من الغرب، كما يقول الدكتور (محمد عمارة): "ليست القضية هي موقفنا من الغرب.. وإنما القضية هي موقف الغرب منا.. مشكلتنا ليست مع الإنسان الغربيّ ولا مع العلم الغربيّ ولا مع الحضارة الغربية.. وإنما مع المشروع الغربيّ عندما يريد إلغاء مشروعنا الحضاريّ المتميز والخاص".

في القرن التاسع والقرن العشرين.. حين أكمل الغرب حركتي التبشير والاستشراق بالاحتلال المباشر.. حين استطاع بقوة الدّبابة والمدفع، أن يغير النخبة القائدة في كل بلد إسلامي.. قرّبَ الخونة وأعدم الأبطال.. ونحّى منهج الإسلام تماما.. ثم راحوا ينشرون من أكاذيبهم وضلالاتهم ما ينزع الإسلام من قلوبنا ويبغّضه إلى عقولنا.

لقد أدركت الأمّة منذ زمان طويل، أن هذه السلطة تعيّن بعض حكّامنا كوكلاء لها.. لكننا غفلنا أنهم لا يكتفون بالحكام.. فهم الذين يعيّنون كبار الكتاب أيضا!

لم يكن الاستعمار يعبث عندما احتل بلادنا، وعندما تركنا لم يتركنا لأنه سئمنا، أو لأننا أصبحنا فجأة أقوى منه.. لقد ربى نخبة كاملة.. طبقة كاملة في المجتمع، هي الطبقة الحاكمة.. منها الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ورؤساء التحرير وكبار الكتاب بل وكبار التجار ورجال الصناعة، فلا يكاد يُتداول الأمر خارجهم.. وفى مختلف بلادنا فإن هذه النخب ليست معزولة عن بعضها البعض، بل وثيقة الاتصال.

وتوطد الغزو الثقافي، بديلا أقل تكلفة من الغزو العسكري!!

يعرّف الدكتور (عبد الله التركي) الغزو الثقافي بأنه:

"كل فكرة أو معلومة أو برنامج أو منهج، يستهدف صراحة أو ضمنا، تحطيم مقومات الأمة الإسلامية: العقيديّة والفكرية والثقافية والحضارية، أو يتحرى التشكيك فيها، والحطّ من قيمتها، وتفضيل غيرها عليها، وإحلال سواها محلها، في الدستور أو مناهج التعليم، أو برامج الإعلام والتثقيف، أو الأدب والفن، أو النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة".

وربما أريد أن أرجح رأى (الدكتور أحمد عبد الرحمن)، أن ما يحدث "ليس مجرد غزو ثقافي، بل هو إحلال ثقافي، يرمى إلى إحلال الثقافة الغربية مكان ثقافتنا الأصلية بالكامل".

وكانت أضلاع مثلث الشيطان الثاني هي: الثقافة والإعلام والتعليم.

وعن التعليم، ثمة عشرات الكتب ومئات الأبحاث المحاصرة التي تفضح المؤامرة..

وعن الإعلام، يكفى أن نستشهد بتلك الكلمة الدامية، التي خطّها يراع شيخ القضاة في مصر المستشار (يحيى الرفاعي) إذ يقول:

"لا يسمح السلطان لرعاياه بمجرد وجود إنسان غيره، فهو النجم الأوحد، والعادل الأوحد، والعالم الأوحد، العارف بالسياسة وبالاقتصاد، وبالقانون، وهواه هو قانون الأمة".

ومن أجل هذا السلطان، لا مانع من هدم بنيان الأمة كلها ليستقر عرشه، على كوم من الجماجم وجبال من الفشل وطوفان من الهلاك..

وعن الثقافة، يكفى ما كشفته أزمة "وليمة لأعشاب البحر" وتداعياتها.. حين أصبح الاجتراء على الله تنويرا والهجوم على عبد الناصر ردة!!

إن إعلامنا وتعليمنا وسياستنا مكرسة كلّها ضد الإسلام ولصالح حضارة الغرب.

ولم يكن للإسلام أن يستسلم.. أبدا لم يكن له ذلك..

حاول بعض أبنائه الجهاد في سبيل الله.. أخطأوا وأصابوا.. لكنهم كانوا إلى الصواب أقرب.

وإنني لا أملك حتى في الخطاة فيهم، إلا قول الإمام (على) كرم الله وجهه، من أنهم قوم طلبوا الحق فأخطأوه.. أمّا النخب الحاكمة في جلّ عالمنا الإسلامي، فقوم طلبوا الباطل فأصابوه!!

ماذا فعلت السلطة - التي لم تنشأ إلا بالاستعمار - في الاتجاه الإسلامي؟..

نصبت المشانق.. زورت الانتخابات.. أوصدت كل الأبواب.

ولقد تصرفت أجهزة الأمن في جل عالمنا الإسلامي، كما لو كانت فرقا بقيت من جيوش الصليبيين لتستأصل ما بقى من شأفة الإسلام!!

لقد بلعنا الطعم..

هم يخافون الإسلام وعلّمونا أن نخاف نحن أيضا منه..

وهم منطقيون في خوفهم من الإسلام.. فهو الحضارة الأرقى، وهو القادر على كبح جماحهم كما فعل لألف عام.

بلعنا الطعم.. روّجنا لما يقولون.. وهاهم أولئك الآن يبيدون في الشيشان أمة كاملة بتهمة الإرهاب.. وغدا سوف يحدث معنا نفس الأمر [كتب (محمد عباس) ذلك قبل احتلال أفغانستان والعراق]..

ذلك أن الإسلام عندهم هو الإرهاب.. وكان علينا أن نحاربهم على ذلك، لا أن نقرّهم عليه ونتحالف معهم فيه.. ضدنا!!

لقد كانت خطة الغرب أن تقف الدولة ضد الأمة..

ولقد نجحوا!!

يقول (صمويل زويمر) في محاضرة للمبشرين، في القدس عام ١٩٣٥: "إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست لإدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هدايةً لهم وتكريما، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبهذا تكونون قد أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، ويأتي النشء الإسلامي مطابقا لما يراه الاستعمار.. لا يهتم بعظائم الأمور ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب".

اشهد يا رب علينا وعليهم، أن الأمر أسوأ حتى مما تخيله (زويمر)..

أجأر إليك يا رب بالشكوى: القائمون بعملية التبشير الآن بعض صحفنا وإذاعاتنا وتليفزيوننا وكتبنا المدرسية ومعظم كتّابنا وفنانينا وأحزابنا وهيئاتنا ومؤسساتنا.

نعم..

القائمون بعملية التبشير صبيان (زويمر) منا..

والقائمون على التعليم تلاميذ (دانلوب) منا..

والقائمون على عقاب من يتجاوز تعاليم صبيان (زويمر) أو ثقافة تلاميذ (دانلوب) ليسوا سوى بقايا جنود (كرومر) و(أرنباط)!!

هل بهذا الهجوم الضاري تقضى أمّة، امتدت ذات يوم من الصين حتى الأندلس، وهى اليوم بعد أن فقدت أجنحتها وأطرافها تنزف من قلبها.. حتى لأخشى أن تتلاشى؟؟!!!

أمة تتعرض لأبشع عملية غسيل للمخ وتزييف للوعي في التاريخ..

عملية غسيل للمخ وتزييف للوعي لم يعد العدو هو الذي يقوم بها.. بل يقوم بها أمراء وملوك ورؤساء ووزراء وكتاب وصحفيون ومثقفون وشخصيات قائدة حاكمة منا وفينا!!

***

أخطئ يا عربي يا مسلم في تلاوة القرآن..

أنكر حديثا نبويا شريفا..

عارض شرعا أو فقها..

لا ضير..

سوف تكون مستنيرا ومتحضرا عندما تقدم على أي من ذلك..

اجترئ على الله، اسخر من القرآن، سبّ الرسول ﷺ، وسوف يقابلك الترحاب والتأييد الرسمي، وسوف تفتح لك سبل النشر والإعلام كلّ أبوابها.. لكن حاول أن تهاجم (سلامة موسى) أو (طه حسين) أو (قاسم أمين) أو (على عبد الرازق).. حاول ذلك ولا تلومنّ إلا نفسك، عندما تفتح أبواب الجحيم لك أبوابها..

أو حاول أن تعارض ما غرسه (كرومر)، لتنطلق كلاب جهنم تعوي عليك من كل صوب..

والرجل – للدهشة والأسى – لم يحاول إخفاء دخيلته.. فهو يعترف بالنصّ في تقرير عام ١٩٠٦: "إنى واثق من قوة (أوروبا)، واقتدارها عند الاقتضاء على تلافى هذه الحركة (الحركة الإسلامية) من الجهة المادية، وإن تكن غير قادرة على ذلك من الجهة الروحية".

لقد كان مذهلا لي، أن أكتشف أن معظم ما يردده دعاة التنوير الآن، مكتوب بنصّه في تقارير اللورد (كرومر) السنوية!!

يقول (أنور الجندي):

"في هذه التقارير، سجل (كرومر) الخطوط العامة لتهديم كل عوامل الإيمان الوطني والاعتزاز العربيّ الإسلاميّ.. وكان أوّل من ساق الأكذوبة الضخمة، التي تقول إن المصريين كانوا خاضعين أكثرَ زمانهم.. فقد حكمتهم دولة الفرس فاليونان فالرومان فعرب جزيرة العرب، وبغداد، فالجراكسة، فالترك".

هذا بالضبط ما كتبه اللورد (كرومر) عام ١٩٠٦، ومازال كبار مثقفينا الرسميين الذين تفرضهم حكوماتنا علينا يرددونه حتى اليوم.. متجاهلين أن صلة (مصر) بالعرب لم تكن صلة استعمار، وأن الرابطة بين العرب وبين الدولة العثمانية لم تكن رابطة احتلال.

لقد تحدّث (كرومر) أيضا على أن مصر ليست جزءا من أفريقيا ولا من الشرق، وكان يهدف إلى نزع (مصر) من دورها وجذورها.. وما يزال صبيته يردّدون هذا حتى اليوم.. إن الأفارقة متخلفون والعرب أجلاف وتركيا بلاد احتلال فمال (مصر) وكل هذا؟؟؟!!!!

وليت نخبة مثقفينا – حتى بمفهومهم الغبي الخائن – فكروا ما هو الثمن الذي سنحصل عليه عندما نقطع جذورنا.. هل سنلتحق بأوروبا مثلا؟!

كان (كرومر) أيضا هو أول من هاجم الحكومة الإسلامية، ووصفها بأنها الحكومة الثيوقراطية.

والآن هكذا صارت الصورة:

أدعياء الثقافة والتزوير – لا التنوير – يتعاملون مع المراجع الدينية تعامل صهيوني أو صليبي أو مشرك جزم بأن الإسلام ليس دينا وإنما أكذوبة كبرى يجب أن يطهر الوطن منه!!

وينبثق السؤال:

هل هم مؤمنون حقا؟!

إن الأمر ليس تفتيشا في الضمائر ولا شقا عن القلوب.

نعم.. من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

لكن كيف يعقل أن يحدد الكافر للمؤمن حدود الإيمان وأن يفسر له القرآن؟!.. فليجهروا بالكفر، سنقبل ذلك منهم.. ليدعوا إلى كفرهم كما يشاءون في ساحة فكر حرة..

أما أن يقودوا أمة مسلمة فألف كلا.. ذلك أن قيادتهم لأمة مسلمة ليس خطيئة دينية فقط، بل جريمة أمن قومي ووطني..

تماما كما لو جئنا بليبرالي ليقود حزبا شيوعيا، أو بماركسي ليتزعم حزبا ليبراليا!!.. بل إن الأمر أشد وأخطر، فهو يشبه أن نأتي بصهيوني كي يقود جيشنا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

إن تلك النخبة المثقفة المنحرفة – التي دستها السلطة بين صفوف الأمة، متظاهرة أحيانا بالمعارضة – تزلزل ديننا وعقيدتنا.. وهى تتظاهر بالمطالبة بحرية الفكر، وما كانت تقصد سوى حرية الكفر.. وبحرية الاعتقاد وما كانت تقصد إلا حرية الإلحاد.. وراحوا يكفرون بالله ويؤمنون بالغرب كما شاء لهم الشيطان..

إلا إنهم أدركوا، أنهم رغم كلّ محاولاتهم، لم يغيروا في الأمة سوى قشرة لن تصمد لأي محاولة للكشف.. لذلك سنّوا قانونا صارما ما أنزل الله به من سلطان.. إذ أنهم وهم يطالبون بحرية الاعتقاد – الذي لا يقصدون به في أمة مسلمة إلا حرية الخروج على الإسلام – سنّوا ذلك القانون الذي يحرّم على المسلمين اتهام الخارجين على الإسلام بالكفر!!.. وفى نفس الوقت تكفّلوا بالعطاء لأولئك الخارجين!!

تماما كما تحرم (أمريكا) علينا اتهام عملائها بأنهم عملاء.. وتماما كما تجزل لهم العطاء!!

أصبح الخروج على الإسلام مباحا..
وأصبح التكفير ممنوعا بإطلاق..
رغم أن كتاب الله ـ القرآن الكريم ـ هو أكثر كتاب في الدنيا يتحدث عن التكفير!!

***

أريد أن أنبه القراء إلى حقيقة حزينة شد ما ذهلت عندما عرفتها من كاتب عميق مرموق لكنه ليس شهيرا.. استدعته المباحث.. أخذوا يستعرضون معه بؤس حال الكتّاب وقلة دخلهم وصعوبة مجالات النشر وتجاهل وسائل الإعلام وعزوف القراء عن القراءة.. ثم فاجئوه بأنهم يملكون الحل السحري لكلّ هذا.. إنهم يطلبون منه أن يعرض أعماله عليهم وأن ينفّذ بعض ملاحظاتهم.. فإذا أثبت جدارته بالعلاقة الجديدة، فسوف يطلبون منه تأليف أعمال كاملة لحسابهم.. سوف يجعلون أكبر دور النشر تتسابق لنشر كتبه.. سوف يطبعون عشرين أو ثلاثين ألف نسخة بدلا من ثلاثة آلاف.. وسوف يحصل على عشرات الألوف بدلا من لا شيء.. وسوف تشيد كل وسائل الإعلام بكتاباته التي لن يكفّ كبار الكتاب عن مديحها.

وعندما ذهل الصديق واستنكر، إذا بهم في سبيل إقناعه يقولون له، إن كل المشاهير رجالهم.. وأنهم يتعاونون معهم بنفس الطريقة.. وقدّموا له من الأدلة والبراهين ما قضى على كل تكذيب عنده.. بل أطلعوه على مقالات تكتب في مكاتب الشرطة بأسماء كتاب مشهورين.. ترسل في مظاريف مغلقة إلى هذه الصحيفة أو تلك المجلة.. لتنشر باسم الكاتب الكبير.. ليقرأها مع القراء!!

قال لي الصديق في يأس وأسى: حتى الفنانون وكتاب المسلسلات والمخرجون يتعاونون معهم بنفس الطريقة!!

وثن الموضوعية:

صك المستغربون لنا مصطلحات وأعطوها قيمة مطلقة.. فمن حقك مثلا تناول الدين والمقدسات بموضوعية، والموضوعية هنا تعنى نزع أي رؤى سابقة.. ولكنك إذا حاولت أن تتناول مصطلح "الموضوعية" نفسه بموضوعية، تُجابه على الفور بأقسى وأقصى هجوم، فالمصطلح في منظورهم كتلة صواب مطلق لا تقبل التجزئة!!

لقد رفضوا أن يحتل الدين هذه المرتبة التي منحوها لمصطلحهم، حتى إنني أحيانا أعرّف الموضوعية بسخرية قائلا: الموضوعية هي تناول أي موضوع دون استشهاد بآية من القرآن الكريم أو حديث نبوي شريف!!

المصطلح يحتاج إلى مواجهة.. فهو إن كان يصلح في العلوم الطبيعية والفيزياء، لا يصلح على الإطلاق في النظرة الشاملة الكلية.. وحتى في الفيزياء، فإن القوانين الفيزيائية التي تنطبق على الأجرام الصغرى - كالذرات - لا تنطبق على الأجرام الكبرى - كالمجرات..

لكنّ المستغربين يريدون أن تكون الموضوعية صنما مقدسا لا يُمس، وهو يعنى بالضرورة استبعاد كلّ ما لا يمكن تجربته، وبهذا يكون الغيب كلّه مُقصىً ومستبعدا من أي حساب.. الجزء الأكبر والأهم من الوجود يُستبعد.. فهل في ذلك أي موضوعية؟!

تستلزم الموضوعية أيضا الحياد، والحياد أسطورة لا يمكن تحقيقها، إلا بقدر ما يمكن أن تتشابه بصمات إصبعين!!

الإنسان موقف.. والموقف انحياز!!

والحياد - مثلا - بين الخير والشر، وبين الخطأ والصواب، وبين الإيمان والكفر، ليس موقفا موضوعيا ولا صحيحا.. ليس سوى نفاق!!

ترى.. هل أستطيع إكمال هذا المقال.. بموضوعية؟؟!!

سِفَاح ثقافي!!

في الغرب، يوجد للمسيحية مؤسسات مستقلة قادرة وفاعلة.. ثم إن توافر ديموقراطية حقيقية يجعل رأى الشعب فاعلا.. ثم إن الإنسان الغربي - المسيحي - يستطيع أن يفصل بين الحياتين دون تمزق، بأن يعطى ما لله لله وما لقيصر لقيصر.

في الإسلام لا يوجد هذا.. ليس هناك شيء لقيصر، فقيصر نفسه عبد لله لا طاعة له فيما عصى فيه الخالق.

ثم إن الإسلام لا يملك مؤسسة دينية مستقلة، لأنه نظرة شاملة للكون، تشمل الدولة والأمّة والدنيا والآخرة، ومحاولة معاملته كما يعامل الدين في الغرب يعنى إلغاءه عمليا.

وفى غياب الديموقراطية، يصبح الحاكم إلها!!

ومن الناحية الأخرى، فإن حضورا فاعلا وحقيقيا للإسلام، يعنى ردع مظالم الحكام، واستحالة التزوير وعدم الشرعية.

ولهذا اتفقت مصالح القطبين على ضرورة استبعاد الإسلام: الغرب.. وحكام بلاد المسلمين!!

المؤلم أن العالم الإسلامي يضيق بالفكر الإسلامي الذي تتسع له بلاد أخرى، لكن الإعجاز الإلهي يتجلى، في أن ينبري للدفاع عن الحضارة الإسلامية غير مسلمين يقيمون في بلاد الحضارة المنافسة، حيث لا تطولهم هناك أجهزة قمعنا.

يقول المفكر الأمريكى الكبير ـ الفلسطينى سابقا ـ (إدوارد سعيد):

"بالنسبة للغرب، انطوى فهمهم للإسلام على محاولة تحويل تنوّعه إلى جوهر وجدانى غير قابل للتطوّر، وقلب أصالته إلى نسخة منحطّة من الثقافة المسيحية، ومسخ شعوبه إلى كاريكاتيرات مثيرة للرعب.. ومثل أي سلعة ناجحة رائجة، كان الشرق المصنع ممنوعا من التبدّل.. وإذا حدث ودخل جزء من تاريخه في تناقض مع خصائص السلعة كما رسمها المستشرقون، فإن هذا الجزء سيُقمعُ ويُبطل ويُلغى".

ويصرخ (إدوارد سعيد):

"إن نظرة الغرب إلى الإسلام هي نتاج سفاح ثقافي مع الخطاب الغربي بمختلف ضروبه وصنوفه".

يقول (إدوارد سعيد) ذاك، بينما نخبنا المثقفة الطافية على سطح المجتمع ـ كما يطفو السمك الميت والبيض الفاسد ـ لها رأى آخر.. رأى تكشفه حتى دوريات الغرب الذي يدافعون عنه.. ففي صحيفة أخبار الأدب المصرية – وهى مجلة التنويريين رواد التغريب في مصر، ولا يتجاوز توزيعها ٧٠٠ عدد أسبوعيا ـ نشرت (مها عبد الرؤوف) مقالا بعنوان: "المخابرات الأمريكية وزارة ثقافة العالم"، تستشهد فيه بكتاب الكاتبة البريطانية: (فرانسيس ستونر): "المخابرات الأمريكية والحرب الثقافية الباردة".. وفيه تكشف أن المخابرات الأمريكية قد خطّطت لكي تكون هي بنفسها وزارة ثقافة العالم، وقد اعتبروا هذا المخطط هو المشروع التالي بل والأهم من مشروع (مارشال) الشهير، وبهذا المشروع تمكّنت المخابرات الأمريكية من أن تجعل من نفسها وزارة ثقافة العالم، فأصبحت تفرض سطوتها على الأدب والفن والموسيقى والسينما.. ولقد مارست ذلك دون أن يشعر الرأي العام بشيء.. في نفس الوقت ـ بل وربما قبله ـ كانت المخابرات السوفيتية تقوم بنفس الدور.. وتقول الكاتبة الإنجليزية إن هناك الكثيرين من الشعراء والكتاب والفنانين والمؤرخين في أوروبا ما بعد الحرب العالمية قد استُعملوا كأسلحة سرّيّة للمخابرات الأمريكية.

فعلت الولايات المتحدة ذلك عن طريق مجالس الحرية الثقافية، وكان مقره الرئيسي في باريس، وكان يمول باعتمادات لا حدود لها.. وكانت مهمته الرئيسية هي التغريب والغزو الفكري.

وفي كتاب (آل شاتيلييه): "الغارة على العالم الإسلامي"، يصف كيف وضع العالم الغربي العالم الإسلامي داخل أسلاكه، حيث أحكم حصاره كي يحول دون تحرّك فعالياته الثقافية.

هيكل والإشعاع!!

تذكرت (محمد حسنين هيكل) أثناء الأحداث الفاجعة التي شهدتها إحدى قرى الدلتا في مصر.. حين عثر أحد الفلاحين البسطاء على ما ظنه كنزا فأخذه إلى بيته ليخفيه.. لم يفطن المسكين إلى أن ما ظنه كنزا، كان جسما مشعا قضى عليه وعلى بعض أفراد أسرته، وأصاب جيرانه وأهل قريته بأضرار فادحة، أسوأ ما فيها أنه لا يمكن في الوقت الحاضر تحديد مدى الخطر ولا متى سيحدث.

وتقاطرت القوافل الطبية من أعرق الجامعات بقيادة أساطين الطب في مصر، ليكشفوا عن سر ذلك الوباء الغريب الذي ألم بأهل القرية المنكوبة.. وقد عجزوا جميعا عن اكتشاف حقيقة المرض أو سببه، رغم مئات الأجهزة المعقّدة التي حملوها معهم.. عجزوا.. لأنه لم يكن بين هذه الأجهزة المعقّدة جهاز بسيط لقياس الإشعاع!!

وظل الأمر غامضا، حتى شكّ أحد شباب الأطباء في المرض، فطلب عداد (جيجر) الذي كشف حقيقة الكارثة على الفور.

تذكرت (محمد حسنين هيكل) آنذاك..

قلت لنفسي إنه ليس كالآخرين.. ففي فكره الموسوعيّ ومنطقه الصلب مجال للاتفاق والخلاف والحوار..

ليس كالآخرين الذين يشبهون أفاقا ينتحل صفة طبيب.. إنه يشبه أساطين الطب الذين ذهبوا بكل الأجهزة المعقدة بدون عداد (جيجر)، فكتبوا آلاف الصفحات وعشرات التقارير المشحونة بأحدث النظريات والقواعد العلمية، لكنهم لم يصلوا أبدا إلى الحقيقة..

فهمت ضمن ما فهمت.. كيف يضل عقل تحليلي كعقل (محمد حسنين هيكل) حين يتناول قضايا يكون الإسلام طرفا فيها.

ولقد كان افتقاد وسيلة القياس هذه سببا في أخطاء فادحة تعرض لها في تحليلاته التي تغطى مساحة كبيرة من الجرح العربي..

فلم يفطن أبدا – على سبيل المثال – أن أسباب فشل الحركة القومية الكبرى لـ (محمد على)، هي ذات أسباب فشل الحركة القومية الكبرى لـ (جمال عبد الناصر).. وهى أنهما في صدامهما مع الغرب، تعاملا معه بمنهج غربي.. فاستغلهما الغرب – بالرغم منهما – شر استغلال لتنفيذ مآربه!!!

ولقد قام (محمد على) بالدور الذي رسمه الغرب له..

فقد استخدم الجيش الذي صنعته له (فرنسا)، وقام بتدريبه (سليمان باشا الفرنساوي)، لا في محاولة الاستقلال عن الخلافة فحسب، بل في محاربة الخليفة نفسه!.. وقد كاد يتغلب على جيش الخليفة بالفعل، لولا تدخل (بريطانيا).. تظاهرا بالوقوف في صف الخليفة، وغيرة في الحقيقة من أن تستأثر (فرنسا) بالنفوذ في مصر!.. وفى الوقت نفسه لتخدم الهدف العام للصليبية بطريقة أخرى.. فقد أوقفت بريطانيا (محمد علي) عند حده في ظاهر الأمر، ومنعته من مهاجمة الخليفة، وفى الوقت ذاته ضمنت له الاستقلال الفعلي عن الخليفة، وكرّست أوّل شقّ عميق لفكرة الدولة الإسلامية المحوريّة.

سلّحته (أوروبا) كي يستنزف قوة الإسلام، وكي يكون كلّ الضحايا مسلمين.. هذا بينما تجمّعت أوربا الصليبية كلها لتحطيمه في معركة (نافارين)، لأنه نسى نفسه وتجرأ على مهاجمة دولة صليبية هي اليونان!

فقد كبّرته الصليبية وسلحته لمحاربة الإسلام فقط، فإذا فعل ذلك فله كل العون.. أما إذا هاجت أطماعه لحسابه الخاص، فمسّ أحد الصليبيين بسوء، فإنهم يتّحدون عليه لتحطيمه تحطيما كاملا إذا لزم الأمر.

نفس الشيء حدث مع (جمال عبد الناصر).. نفس الهزيمة وذات الانهيار.. ولا اعتبار٣٦[2]!!
كانت الهزيمة في التجربتين حتما.. كما كانت حتما أيضا في كل الحركات الشبيهة في العالم العربي.. وهى ظواهر حلّل (هيكل) أسبابها كثيرا، لكنه لم يصل إلى تشخيص المرض أبدا.. لم يكن عنده عداد جيجر!!

الجماعات الوظيفية:

أبدع الدكتور (عبد الوهاب المسيري)، في وصف جماعات المتغرّبين، حيث سماها "الجماعات الوظيفية".. وهو مصطلح قام بوضعه:

36[2] راجع عنوان "امبراطوريّات الظلال" في مقال "التسلّط الأمريكيّ".

"استنادًا إلى مصطلحات قريبة في علم الاجتماع، لوصف مجموعات بشرية تستجلبها المجتمعات الإنسانية من خارجها في معظم الأحيان، أو تجنّدها من بين أعضاء المجتمع أنفسهم، من بين الأقليات الإثنية أو الدينية، أو حتى من بعض القرى أو العائلات، ثم يوكل لهم وظائف شتى، لا يمكن لغالبية أعضاء المجتمع الاضطلاع بها لأسباب مختلفة، من بينها رغبة المجتمع في الحفاظ على تراحمه وقداسته.. ولذا يوكل لأعضاء الجماعات الوظيفية بعض الوظائف المشينة (الربا – البغاء)، أو المتميزة (القضاء – الترجمة – الطب)، التي تتطلب الحياد والتعاقدية.

كما أنه قد يوكل لأعضاء الجماعات الوظيفية الوظائف ذات الحساسية الخاصة، وذات الطابع الأمنيّ (حرس الملك – طبيبه – السفراء – الجواسيس).

لا نعني أن هذه عملية واعية يقوم بها أعضاء مجتمع ما، فهي في واقع الأمر عملية غير واعية، كما هو الحال مع معظم الظواهر الاجتماعية.. وكثيرًا ما تكون هذه العملية غير مفهومة لمن يقومون بها، سواء أكان المجتمع المضيف أم الجماعة الوظيفية.. بل إن هذه العملية الاجتماعية قد تتم رغم الرفض الواعي لها من قبَل المجتمع والجماعة!!

وكل ما نرمي إليه هنا، هو أن نشير مجرد إشارة إلى أن هذه عملية اجتماعية مركبة إلى أقصى حد، تتداخل فيها الأسباب بالنتائج، ونحاول فهم بعض جوانبها وتفسيرها قدر استطاعتنا.. ولكننا، لقصور لغتنا البشرية، نضطر إلى الإشارة إلى المجتمع وأعضائه، كما لو كان ذاتًا واعية ينجز عملياته بشكل واع.

ويتوارث أعضاء الجماعة الوظيفية الخبرات في مجال تخصصهم الوظيفي عبر الأجيال ويحتكرونها، بل يتوحّدون بها.. وفي نهاية الأمر يكتسبون هُويتَهم ورؤيتهم لأنفسهم منها، بحيث يتم تعريف الإنسان من خلال الوظيفة وحسب، لا من خلال إنسانيته الكاملة، فيصبح عضو الجماعة الوظيفية إنسانًا ذا بُعد واحد، يمكن اختزال إنسانيته إلى هذا البُعد أو المبدأ الواحد، وهو وظيفته.

ويمكن القول بأن القطاعات العسكرية في كثير من دول العالم الثالث، يُعاد إنتاجها على هيئة جماعات وظيفية، جُند أعضاؤها من داخل المجتمع.. ويتم عزل هذه الجماعات عن طريق المزايا والرموز المختلفة، بل يتم أحيانًا عزل هذه الجماعات داخل أحياء سكنية متميزة تتمتع بعدد من الخدمات، وقد تُخصص مستشفيات ومدارس مقصورة على أعضائها وعلى أولادهم.

وبعد إنجاز عملية العزل، يصبح للقطاع العسكري وقيادته "مصالح" مختلفة عن مصالح المجتمع، ومن ثَم يكون بوسع هذه الجماعات أن تنظر لهذا القطاع بشكل محايد، ويكون بوسع القوى الأجنبية أو النخب الحاكمة أن تُوظف هذه الجماعات لصالحها.. كما يمكن لهذه الجماعات أن تسيطر على المجتمع وتديره لصالحها، وتصبح مثل المرتزقة والمتعاقدين الغرباء، رغم أن خطابها السياسي قد يكون قوميًا وثوريًا واشتراكيا".

ويواصل الدكتور (المسيري) تطبيق نظريته الفذة على قطاع المثقفين، فيقرر أن بعض قطاعات النخب الحاكمة والمثقفين في العالم الثالث، قد تتحوّل إلى جماعات وظيفية (عميلة)، تعمل لصالح الإمبريالية أو النظام العالمي الإمبريالي الجديد.. فهؤلاء يمكن استيعابهم من خلال الشبكة الاقتصادية والثقافية الضخمة (شركات متعددة الجنسيات - مؤسسات بحوث - مؤتمرات علمية - مشاريع بحثية مشتركة... إلخ).. وهذه القطاعات يتم عزلها عن مجتمعاتها بحيث تصبح غريبة، فتكون داخلها ولكنها ليست منها.

ويمكن أن تكون العزلة فعلية، كأن يعيش أعضاء هذه القطاعات في منازل توجد على أطراف المدينة، أو في أحياء خاصة ذات طُرُز معمارية معينة (عادةً غربية)، أو يرتدون أزياء غربية ويتحدثون بالإنجليزية أو العربية المطعمة بالإنجليزية.

كما أن شبكة المصالح العالمية تستوعبهم، فتصبح مصالحهم الاقتصادية مرتبطة بالآلة العالمية وباستمرارها، وباستمرار مؤسساتها الثقافية.

ولكن العزلة يمكن أن تتم بشكل أكثر تبلورًا وتركيبا، فتأخذ طابعًا نفسيا.. فيحس المثقف بالعزلة عن مجتمعه، وبعدم التجذّر فيه وبالغربة عنه، ويحس عضو النخبة السياسية بعدم الانتماء لبلاده، كما أنهما ينظران إلى أهليهما نظرة دونية، حيث يشعران بتخلّف المجتمع الذي يعيشان فيه، وبحاجته إليهما (مركب الشعب المختار).. كما أنهما يمارسان هذا الشعور عادةً، بسبب إيمانهما بأيديولوجيا تُجسد نماذج معرفية وأخلاقية مستوردة متحيزة ضد واقعهما.. ورغم أنهما قد يتحدثان بلغة بلادهما، إلا إن خطابهما السياسي يبدأ في التحول التدريجي، حتى لا يفهمه سواهما، ويصبح أداة للعزلة عن الجماهير لا للتواصل معها.

ولا شك في أن أعضاء هذه الجماعة يتّسمون بحركية شديدة.. كل هذا يجعلهم كيانات مجردة، وأدوات قمع في نظر مجتمعاتهم.. تمامًا كما أنهم لا ينظرون إلى مجتمعاتهم باعتبارها كيانات حيّة ينتمون إليها!

فهم ينظرون إلى الفلاح الذي يرتدي جلبابه - مثلا - باعتباره عبئًا لابد من التخلص منه، ومشكلة تحتاج للحل!!

وهؤلاء المثقفون يشبهون في كثير من الأحيان يهود البلاط، الذين كانوا يشكلون جماعة وظيفية تقف بين عالمين (عالم اليهود وعالم الأغيار).. جماعة تتعامل مع كليهما بكفاءة، دون أن تنتمي لأي منهما.

ولذا، فإن أعضاء هذه الجماعة يعيشون في عدم طمأنينة، يحاولون إرضاء أسيادهم قدر استطاعتهم عن طريق الخضوع لقوانينهم، ولكنهم في الوقت نفسه لا يمكنهم الانضمام له تماما، لأن وظيفتهم تتطلب منهم أن يطوّروا مجتمعاتهم، حتى يمكن إدخالها إلى النظام العالمي.. ولكن شرعيتهم وقوتهم تظلان مستندتين إلى القوة الإمبريالية.

وقد وصف أحد علماء الاجتماع يهود البلاط بأنهم: "مخصيون لم يتم خصيهم".. وهو وصف دال أيضا لأعضاء النخب الثقافية والسياسية في العالم الثالث، الذين تم إعادة إنتاجهم على هيئة جماعة وظيفية عميلة، تخدم النظام الإمبريالي العالمي الجديد.

ونحن نرى أن النظام العالمي الجديد، ينطلق من إدراك الدول الغربية صعوبة المواجهة العسكرية والأيديولوجية الواضحة مع شعوب العالم الثالث (وخصوصًا الشعوب الإسلامية)، وإدراكها أيضًا ظهور نخبة ثقافية محلية على استعداد كامل للتعاون معها والقيام على خدمتها، فقررت أن تلجأ إلى التفكيك الداخلي (من خلال النخبة المحلية العميلة)، بدلا من المواجهة المباشرة من خلال الجيوش وآليات الحرب التقليدية الأخرى.

(يبدو أنّ ذلك لم يؤتِ ثماره بالسرعة الكافية والدرجة المطلوبة، فتدخلت أمريكا لاحتلال أفغانستان والعراق.. والبقيّة تترى، وإن كان الرعب الذي سبّبه هذا الاحتلال، كافيا لتسريع عمليّات الهدم الداخليّ في البلدان العربيّة والإسلاميّة، خشيةً من كلّ حاكم على كرسيّه!).